
Bibliotheca Alexandrina
0137254

ذخائر العرب

٣٩

المنتخب
من

شعر ابن زاكور

عمل

عبد الله كنون الحسني



دار المعارف بمصر

١٩٦٦

ذخائر العرب
٣٩

المنتخب
من
شعر ابن زاكور

عمل
عبد الله كنون الحسني



دار المعارف بمصر
١٩٦٦

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. ع. م.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قالَ عليه الصلاة والسلام :

« إنَّ من البيان لسحرًا ،

وإن من الشعر لحكمةً »

فى الأدب المغربى

ظلَّتِ الآداب المغربيَّة منسيَّة طِيلة الثلاثة عشر قرناً الماضية ، وكان هناك عاملان يتعاونان على بقائِها مغمورة لا تَلفت نظر أَحد ولا تستثير اهتمام باحث .

أَولهما : انصراف المؤَرِّخين المغاربة سواء منهم مؤَرِّخو السياسة ومُؤَرِّخو العلم عن تسجيل الناحية الأَدبيَّة من تاريخ الفكر المغربى وإعطائها ما تستحقُّه من العناية والدرس والتمحيص ! بلْ وتعمُّد إغفالها ، وغَمْطها وهضمها ، فبينما نجد الأَلقاب الفخمة والحلى الضخمة تُخلع على أَبسط الناس تفكيراً وفهماً وأَقلِّهم معرفةً وتحصيلاً ، نرى بالعكس من ذلك أَهل الأَدب والبيان ، وذوى الملكة واللِّسان ، إذا سمح غرورُ كُتَّاب الطبقات بذكرهم ! وقليلًا ما يسمح بذلك ! : أَوصافهم ضئيلة ونعوتُهم هزيلة لا تزيد على « الأَريب اللبيب والحاذق النجيب » وما إليها ، ثم فى غالب الأَحيان يقع الاقتصار على أَسمائهم من غير إلمامٍ بتاريخ الولادة ولا الوفاة ، فأَحرى النشأَة والحياة ،

وأحسنهم حظًّا وأوفاهم قسماً مَن يثبتون له قطعةً من شعره أو نُبذةً من كلامه تكونُ فى الغالب الأعمّ مُحرفة مصحفةً لاتُقرأُ إلاَّ بمشقةٍ وتعب .

فماذا يكونُ فى هذا الإهمال من التشجيع والتنشيط للأدب وأهله ؟

ثانيهما : اختلاط تاريخ أدب المغرب والأندلس وتعوُّد الناس على نسبةِ كلٍّ فضل وعبقريةٍ للجزيرة ، بداعى النبوغ العظيم الذى أبْداه أهلُها فى العلوم والآداب ، ثمَّ فِقدان ذلك بفقدانها وضياعه بضياعها ، فصار الحنينُ إلى عهد وصالها والتأسُّف على ما كان من فراقها يبعثان الناس على اعتبارها وحدها مصدر النبوغ والعبقريَّة وينسبون إليها الفضلَ كلَّه : ما كانَ لهاحقيقةً وما كان لغيرها من أهل هذه العُدْوَة بالخصوص فى المغارِب الثلاثة .

ولم يكن المؤرِّخون فيما مضى يميِّزون بين أهل الأقطار المختلفة وأصولهم وأجناسهم . بل كلُّ مَنْ حلَّ فى بلدةٍ سواء أقامَ بها أو مرَّ عليها مُرورًا فهو عندهم من أهلها والمنسوبين إليها ! وبذلك دَخَلَ كثيرٌ من النبغاءِ المغاربة فى عِدادِ رجال الأندلس وعُدُّوا من مفاخرها وحمل بعضهم أسماء النسبة إلى بلادها المختلفةَ ! كالقُرطُبى والأشبيلى والغرناطى ! بينما هُمْ إنَّما كانوا موظَّفين فيها أو ذهبوا إليها سفراء أو نحو ذلك ، وخصوصاً فى العصر الموحِّدى .

ولا نزالُ نقف فى الفينةِ بعد الفينة على أفراد ممَّن أدمجهم التاريخ الأندلسى فى أبناء الجزيرة وهُمْ من أُصلاءِ أبناءِ المغرب الذين يحقُّ بهم الافتخار ممَّا يزيدُنا إيماناً بهذه الحقيقة الثابتة .

وعلى كُلِّ حال فقد عرف أبناءُ المغربِ أخيرًا هذا الأمْر وأخذت الأقلامُ المثقَّفةُ تُعالجه من شتَّى النَّواحى ، وصدرت بحوثٌ مهمَّةٌ فى هذه القضيَّة ! وكان لهذا العاجز اهتمامٌ أوَّلىٌّ بذلك ، حيث عكف بضع سنين على جَمْع

ما تفرق من الآثار الأَدبيَّةِ المغربيَّةِ الخالصة ودَرْسِ أطوار الفكر المغربى وتمييز الشخصيات المغربيَّة الكبيرة ! ثمَّ أَخرج ذلك للناس فى شكل كتابٍ جامعٍ مُبَوَّب بحسب المباحث المهمَّة ومقَسَّمٍ على العصور التاريخيَّة ، هو كتاب « النبوغ المغربى » المعروف ، وقد تلقته الدوائر العلميَّة النزيهة فى الشرق والغرب بقبول حسن واعتبرته بَعْثاً لتاريخ المغرب الفكرى أَو وَضْعاً له على الأَصح ، ثم نُقل إلى اللغةِ الإِسبانيةِ ونُشِرَ سنة ١٩٣٩ ،وإلى الإِنجليزيَّةِ سنة ١٩٤٠ ، ونال المؤَلِّف عليه لقب ! الدكتورة الفخريَّة ! من جامعة مدريد المرْكزيَّة فى دجنبر عام ١٩٣٩ .

ولا تنتهى أَعمال الإِحياءِ للأَدب المغربى عند هذا الحد ، فهناكَ مشاريع مهمَّة ستنجلى عن نتائج طيِّبة فى هذا الباب متى وجدت الإِقبال الذى تستحقه من شباب المغرب المتعطِّش إلى معرفة تاريخ بِلادِه ، ومفاخر أَجداده ، والتشجيع الواجب ممَّن بيدهم مقاليد الأُمور إذا كانُوا يُريدون حقيقةً خدمةَ الثقافةِ المغربيَّة والتاريخ العام لهذا القُطر .

ومن جملة هذه الأَعمال نشر هذا المنتخب من شعر ابن زاكور ، فإِنَّه لن يُخدم الأَدب المغربى بمثل وضع مجموعات منتخبة من آثار أَعلامه بين أَيدى الباحثين والشباب ، فيجد أُولئكَ مادَّةً كاملةً تُعينهم على مُواصلةِ أَبحاثهم ويجدُ هولاءِ وسيلةً جديدَةً للمتاع والمباهاة !

ولنقدِّم بين يدى الشعر ترجمةَ الشاعر ، فإِنَّ معرفةَ القائِل ممَّا يُعينُ على فهم القول وتقديره بقدره .

ترجمة ابن زاكور

أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد ابن زاكور الفاسي ، من عائلة ابن زاكور الشهيرة بفاس : العالمُ الأديبُ الواعية ، مفخرةُ عصره وجيله ، ونابغةُ بلده وقبيله ، كان كاتباً وشاعراً ولغوياً ومُؤلِّفاً من أشهر مُؤلِّفي الآداب العربيَّة من المغاربة .

وُلِدَ ونشأ بفاس وأخذ عن جلَّة مشايخها : كالشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وأحمد بن الحاج والقاضي بردلة وأبي عبد الله القُسمطيني وعبد السلام القادري وغيرهم ، كما أخذ بها عن أبي علي اليوسي لمَّا قدِم إليها سنة ١٠٩٥ ، وبمرَّاكُش عن أبي العباس العطَّار ، فقد أخذ عنه أرجوزة ابن سينا في الطِّبِّ وقد استدعى منه قِراءتَها بأبيات يقول في أولها :

ماذا على العَطَّار لو أهدى لنا نفحاته من جُونَة الأُرجوزة ؟

وأخذ بتطوان عن رجلها الفذّ وإمامها الأوحد الشيخ علي بركة ، وبالجزائر عن مفتيها الشيخ محمد بن سعيد قدُّورة والشيخ عمر المانجلاتي ومحمد بن عبد المؤمن الشريف وغيرهم .

أمَّا الشيخ الإمام عبد القادر الفاسي فلم يأخذ عنه إلاَّ تبرُّكاً بالجلوس بين يديه في زمن الصبا خلافاً لما عند بعضهم ، كما أخبر بذلك عن نفسه في رحلته حيث قال : « فأمَّا البحرُ الزاخرُ ، والطودُ الشامخُ الراسي ، الحبرُ الماهر : مولانا أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنه وأرضاه ، وبلَّغه المغفرة والرضوان أسقاه ، فقد كنتُ أجلسُ لسماعه متبرِّكاً ، أيَّام

كنتُ فى أحلام الصبا مرتبكاً ، وأزورُ مجلسه العالى ، وجيد نجابتى غير حالى ، وأتيمَّنُ فى ابتداء المتون ، بخط يده الميمون ، أمال الله عليه من شآبيب الرحمة كل هتون ».

قُلتُ : ومن هنا يمكنُ أن نأخذَ بالتقريب تاريخَ ولادته المجهولة ، فإنَّ الشيخَ عبد القادر الفاسى توفى سنة ١٠٩١ ، فلو فرضنا أنَّه كان حينذاك فى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وهى السنُّ المقدرَّةُ لنجباءِ الأولاد الذين يفرغون من حفظ القرآن ويعكفون على قراءةِ المتونِ العلميَّة ، لكانت ولادته فيما بعد ١٠٧٥ ، وربَّما يؤكِّد ذلك أنَّه توفى مختضرًا فى ٢٠ محرم فاتح عام ١١٢٠ كما ينبئُ عن ذلك قول ابن الطيِّب العَلَمى فى رثائِه :

قضى أخو النَّظم والنثرِ ابن زاكورِ فجادَ دمعى بمنظوم ومنثورِ
وامتدَّ شوقى بمقصورِ الحياةِ له ما حيلتى بين ممدود ومقصورِ ؟

فقوله « بمقصور الحياة له » دليلٌ على اختصاره ، واختطاف المنون له فى عنفوان العمر وابتداره ، أى حوالى الأربعين أو بعدها بقليل .

ومع ذلك فإنَّه ما مرَّت سنتان على تاريخ وفاة الإمام عبد القادر الفاسى الذى وصف نفسه فيه بعطل جيد نجابته ، حتى كان ينظم الشعر الجيد فى مدح أشياخه ويتحيَّنُ فرصَ الختمات المتوالية للمتون العلميَّةِ فينشدُ على عادة نُجباءِ التلاميذ قصائِد بليغةً فى الموضوع يُعلن بها عن نفسه قبلما يشيد بمدح شيوخه .

فعُرِفت من ذلك الحين مكانتُه فى الأدب واشتهر نبوغه فى نظم الشعر وصار ممَّن يُشارُ إليهم بالبنان ، بل إنَّ فى ديوانه ما يدلُّ على تَفَتُّقِ قريحته بالنظم قبل هذا الإبَّان وهى قطعة شعر قالها بتطوان فى سنة ١٠٩٢ يستعيرُ بها كتاباً من أحدِ الأدباء .

وقد رأيت أنَّه رحل إلى تطوان والجزائر ومرَّاكُش وأخذ عمَّن كان بها من

أهل العلم ، ونزيد أنَّ رحلاته إلى تطوان كانت قد تكرَّرت ، وإن كانت هذه التى تاريخها فى عام ١٠٩٢ هى أولاها على ما نظنُّ ، ثم رحل إليها فى سنة ١٠٩٣ ومنها إلى الجزائر فى السنة نفسها وبقى بها إلى رجب من عام ١٠٩٤ ثمَّ عاد إلى تطوان وكان بها فى شعبان من العام نفسه ولا ندرى : هل رحل إليها بعد ذلك أم لا ؟ لكن الذى لا بدَّ من التنبيه عليه هو أنَّ رحلاته هذه لم يكن الباعث الأوَّل عليها هو طلبُ العلم كما قد يُظنُّ ، بل إنَّ هناك باعثاً عائِلِيًّا هو الذى كان يزعج أديبنا للترحُّل فى سِنِّه المبكرة إلى تطوان كما يدل عليه قوله فى الرحلة بعد رجوعه من الجزائر : «ولمَّا حللتُ بتطوان حرسها الله وساعدنى جدى ، وزرتُ ضريح جَدى ، وشِمتُ غُرر أهل ودِّى ، انقشعت سحائِب وجدى ، وأنفقتُ فيها من الشعر على قدر وجدى . . . :» فمن هذه الفقرة نعلم أنَّه كان له بتطوان روابط عائلية ووشائج أهليَّة هى التى كانت تبعثه حيناً بعد حينٍ على تعهد تلك الديار وقصد ذلك المزار كما لا يبعد أن يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الجزائر أيضاً ، لأنَّ أولاد ابن زاكور كانوا بها موجودين ، وهو نفسهُ لايذكر فى رحلته أنَّه خرج بقصد طلب العلم وإنَّما يقول : «لمَّا حلَّ ببلد كذا أخذ عن فلان وفلان إلخ » .

وعلى كُلِّ حالٍ فقد حُبِّبَ إليه بعد ذلك الارتحال وسهُلَ عليه الانتقال ، فصار جوَّابة أقطار ، وحِلف أسفار ، وأكثر ما كان يشدُّ الرحالة لزيارة أضرحة الصالحين ومشاهد العارفين كالشيخ عبد السلام بن مشيش وأبى يعزى ومولاى إدريس ، وكثيرين سواهم ممَّن يطول ذكرهم ، وله فيهم القصائِد المحبرة والمدائح المنورة .

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذه الرحلات كانت من العوامل القويَّة فى تكوين

شخصية المترجَم وتكميل نفسه بما لم يكُن له لو اقتصر على الأَخذ ببلده ولزم كسر بيته كما يفعل كثيرٌ من طَلَبة العلم فى زمنه .

ففضلاً على أنَّه درس علوماً جمَّة على كثير من الأَئِمَّة فإنَّه قد وسَّع دائرة مداركه بمشاهداته فى تلك البلاد وما جَرياته ، فهذه أَوصافه « لكيتان » من المنازه البديعة بتطوان ، وأَوصافه للبحر وأَمواجه ، فى حالتى هدوئِه وهياجه ، وكذا وصفه لهجوم « العدوّ الكافر على بلاد الجزائر » وكلّ ما صدر عنه من شعر حزين فى الشوق والحنين إلى تلك المعاهد وإخوانه بها ، إنَّما ذلك من بركات هذه الحركات ونتائجها المحسوسات .

ثمَّ هناكَ عاملٌ آخر أَثَّر جدًّا فى توجيهه الأَدبى وطبعه بهذا الطابع القوى الذى ظهر بِهِ كعالم لغوى يشرح ديوان الحماسة ولاميَّة العرب ويفسِّر غريبيهما وإشاراتهما وأَمثالهما إلى غير ذلك من نظم عدَّة قصائد على مذاهب شعراء البادية ومن نحا نحوهم من علماء اللغة مرتكباً فيها أَنواع الغريب وملتزماً للقوافى الصعبة ، كالثاء المثلَّثة والذال المعجمة ونحوهما . هذا العامل هو اتِّصاله بأَبى على اليوسى وأَخذه عنه وكرعه من حياض معارفه الأَدبيَّة واللغويَّة ونسجه على منواله فى شعره ، فإنَّ أَبا على كان ريَّان من علوم اللغة والأَدب ناسلًا إلى فنونهما من كلِّ حدب وقد أَتى فى شعره من ذلك بكلِّ غريب وامتلأَ ديوانه بما فيه متعة للُغوى والأَديب ، وحسبك بداليَته « عرج بمنعرج الهضاب » فإنَّها قد احتوت على فنون كثيرة من علمِ الأَدب فضلًا عن اللغة . وقد كان مترجمنا معجباً بها وقرأَها على ناظمها ومدحها غير ما مرَّة ، فكيف لا يتأَثَّر بأُسلوبها ويضرب على نغمة صاحبها وهو يملأُ من نفسه مكاناً عظيماً وينزل من قلبه منزلاً كريماً ؟

بل لقد أَشار هو نفسه إلى هذا التأَثُّر العظيم باليوسى وأَنَّه فتح عينيه

على ما لم يكن رآه من قبل إذ غاية أمره أنّه درس على مشايخ أعظم ما يحسنون هو علم الفقه وما منه بسبيل ، ومن كان له منهم نظرٌ فى علم البلاغة والعربيّة فحسبه الإدراك والفهم لا التذوّق والتأثّر إلى حدّ الإنتاج والإنشاء كما هو الحالُ فى أبى على اليوسى ، وفرقٌ عظيمٌ بين مَنْ يفهم الشئ ويزاوله ومَنْ يفهمه فقط ! هذا فى نفسه فأحرى فى غيره .

وهاكَ قول ابن زاكور فى اليوسى :

«وأمّا حبرُ الأحبار ، وجُهَيْنَةُ الأخبار ، وزينُ القُرى والأمصار ، العديم النظير فى سائرِ الأقطار ، مَن أسعد بمطالع أنواره كواكب نُحوسى ، مولانا أبو على سيدى الحسن بن مسعود اليوسى ، أطال الله مدّته ، وحمى من نوائِب الحدثان حوزته ، فقد ورد فى شوال سنة خمس وتسعين لهذه الحضرة ، وأعارها بقدومه ابتهاجاً ونضرة . . . فأقام بها أيّاماً : ونقع بها لكل ظمآن إلى ورده أواماً ، وأعاد نيران الجوانِح على الأفئِدة برداً وسلاماً ، فلازمتُ منه بحرًا زاخرًا ، ونظمتُ من نفيس فوائِده لؤلؤًا فاخرًا : »

ومن قوله فيه نظماً والشاهد فى الأبيات الأخيرة :

علامــةُ الدنيا بلا ثنيا ومِصقَعُها المُسدَّد
بحرُ الشريعةِ والحقيقةِ فاضَ فيضاً ليس يُعهد
بين الهُدى ومقاله ، وفعاله حِلْفٌ مؤكّد
مَن ضلَّ عن أعلامه ، لم يدرِ كيف اللهُ يُعبد
لا يَعرجن إلى العُلا ، مَن لم يَلُذْ منه بمِصعد
لا يَفتحَن باب المُنى ، مَن لم يفز منه بمِقلد
يفرى دياجير الهوى ، مَن يقتدى منه بفرقد

ويُجارُ من جمع العدا ، مَن ينتمي منه لمفرد

إلى آخرها وهي طويلة ، وغيرها كثيرٌ ممَّا صرَّح فيه بأنَّه مدينٌ له بعِلْمه وعَمَله وأنَّه من مشكاة نوره اقتبس وبنفحات هديه انتعش بعد ما انتكس.

ثم بنظرة واحدة فى ديوانيهما ومقارنة بسيطة بين شعريهما يقف الباحث على هذا التأثُّر المنوَّه عنه ، كما أنَّ مَنْ درس شعر ابن الطيب العَلَمى وصاحبه الشرقى يرى كثيرًا من أَثَر ابن زاكور فيهما بل إنَّ سَفَر الأوَّل إلى تطوان والثانى إلى الجزائر ربَّما كان من الاقتداء بابن زاكور وتتبّع خطاه .

إنَّما ابن الطيِّب العَلَمى وصاحبه الشرقى [لم ينهجا نهج ابن زاكور فى ارتكاب الغريب ولم يشذًّا عن ارتكاب مالوف الناس فى وقتهما] كما أنَّ ابن زاكور نفسه لم يكن يغلو فى ذلك المذهب غلو اليوسى وإنَّما [له فيه آثارٌ معدودةٌ لعلَّه كان يريد أن يدلَّ بها على تضلّعه من متن اللغة أكثر ممَّا يريدها لذاتها وبعد ذلك يبقى شعره فى غالبه رقيقاً سهلاً مصفَّى مهذَّباً كما ستراه .

وجُمْلَةُ القول أنَّ ابنَ زاكور درس الفقه والحديث والأُصول والتاريخ والأَدب ، وبرز فى علوم الأَدب أكثر من غيرها وشارك فى تكوينه عوامل مختلفة ، وكان ذا مَلَكةٍ مطبوعةٍ على الإنتاج وحافظةٍ قويّة ، حتَّى حكى القادرى فى « النشر » أنَّه كان يحفظ عدَّة تآليف منها : تلخيص المفتاح ، وجمع الجوامع ومختصر خليل ، وكافية ابن مالك وتسهيله ، وكافية ابن الحاجب ، وكلُّ هذا ممَّا مكَّن له أن يملأَ فى عالم الأَدب فراغاً لم يُوجَدْ مَنْ يشغله منذ وفاة عبد العزيز الفشتالى ويؤدّى رسالته فى إحياء علوم العربيَّة الّتى بقيت مهملة منذ قرن كامل .

وقد عرف له معاصروه ذلك ولم يجحدوه فضله ، فممَّا حلاَّه به الشيخ على

بركة فى إجازته له قوله :

« مَنْ شبَّ به زمان الأَدب بعد الهرم ، وهبَّ به أَوان المجد والحسب وقد أَشفى على العدم ، الذى ركض فى مضامير البلاغة صافِنات جياده ، وعقد شُذُور البراعة على لبات عصره وأَجياده : الجهبذ الأَريب ، المصقع الأَديب ، الثقف اللقن ، المتفنّن المشارك المتقن ، الفقيه النبيه ، الزكى الوجيه ، ذو الفضل المعروف غير المنكور ، أَبو عبد الله سيدى محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور إلخ » .

ويعجبنى تحلية ابن الطيِّب العَلَمى له فى « الأَنيس المطرب » وقد اشتملت على أَوصاف شتّى وتضمَّنت الإشارة إلى كامل العلوم . التى كان لابن زاكور فيها مقام معلوم ، وهى :

« وحيد البلاغة ، وفريد الصياغة ، الذى أَرسخ فى أَرض الفصاحة أَقدامه ، وأَكثَرَ وثوبه على حلِّ المشكلات وإقدامه ، فتصرَّف فى الإنشاء . وعطف إنشاءه على الاخبار وأَخباره على الإنشاء ، وقارع الرجال ، فى ميادين الارتجال ، وثار فى معترك الجدال ، ما شاءَ وجال ، فهو الذى باسمه فى الأَوان هُتِف ، وهو الذى يعرف فى كلِّ العلوم من أَين أَكل الكتِف ، جلس للإقراء فى شبابه ، فأَتى بيت التدريس من بابه ، وتاسى فى الصلاح بأَربابه . ولم يصبُ لربوبه ولارَبابه . فتكلَّم فى المذهب . وذهب فى التحقيق كلّ مذهب ، وأَوجز ما شاءَ وأَسهب ، وطاول فى الفروع ابن القاسم وأَشهب ، وخاض فى المعقول ، فبهر العقول ، ووقف التحقيق عند ما يقول . وتصدَّر فى السيرة ، وأَحكم القرآن وتفسيره ، وحرَّر (حِرْزَ أَمانيه) و (تيْسيره) ، ونجا فى الرواية ، من الغواية ، وأَلَّف فى الأُصول ، ما لم

يزل به بين الأقران يصول ، وقام للعروض ، بالنوافل والفروض ، ففكّ منه الدوائر ، وسَلِمَ فيه من الدوائر ، واختار المراقبة فبَرِئَ من المعاقبة ».

وقد اشتمل هذا الكلام على نقطتين اثنتين نعتقد أنَّ لهما أيضاً دخلاً كبيرًا فى تكييف حياته الأدبيّة ، وهما : اشتغاله بالتّدريس ونسكه ، فمِمّا لا شكَّ فيه أنَّ التّدريس يحول دون قضاءِ كثيرٍ من المآرب لاستغراقه من وقت المدرس أكثره ، والأدب وخصوصاً الشعر يقتضى الفراغ والانقطاع إليه بالكليّة وقد شَكَا ابن زاكور فى إحدى قصائِده من ذلك معتذرًا عن عدم إجادته القول بتبلبل فكره لاشتغاله بالتّدريس .

وأمّا النسك والنزوع إلى حياة الزُّهد والورع فممّا لا حاجةَ إلى بيان أثره فى صَدِّ الأديب عن بُلوغ أغراضه ، وإمساكه عن كثير من الأعمال والأقوال وإعراضه . وتجد هذا الأمر واضحاً بيّناً فى ديوان ابن زاكور حيث يُكثر من قوله فى قصائِد الغزل والنسيب :

«وقال على لسان مَنْ يَليق به ذلك » أو «وقال فى زمن صباه » ونحو ذلك ، بل صرَّح فى خطبة الديوان بأنَّ ما وقعَ له من ذلك إنّما هو محضُ صناعةٍ ومحاكاة لأغراض الأدباء محذرًاقارئه أن يظنّ به شرًا ، ويحمل بسوء الاعتقاد فيه وزرًا ، قال :

«وكثيرًا ما أكنّى فيه بالمُدام والراح . عن الطرب والارتياح ، وما يَرِدُ على القلب من الأفراح . فلا يتوهَّمْ مَنْ لم يدر الصباح من المصباح ، وقد رأى ما عارضنا به " شق جيب الليل عن نَحْر الصباح " أنَّ المراد التى تطلع فى بروج الأقداح ، ويدور بها فلَكُ الراح ، فيلزمنى بمقتضى بلادته وأنا البرىء أقبحُ جناح ! إذ تلك لا يَصِفُها ، إلاَّ مَنْ يعرفُهَا ، ولا يذكرها ،

إلاَّ مَنْ كان مِثله من الأَنْذَال لا يُنكرها ! وإنَّما فعلت ما هو بين الأَفاضل مطروق ، ويعمر به عند أَرباب المحاسن أَىُّ سُوق ، وهل نحن إلاَّ مثل من كان قبلنا ، نُحسِّنُ ببديعهم كلامنا ونطرِّز باستعارتهم قولنا ، أَلا وليشهد على ذو الأَسماء الحُسنى ، أَنَّنى كلَّما وصفتُ حُسناً أَو شبَّبْتُ فى الظاهر بما يَفْنَى ، فالمقصود إن لم يصلح كونه المُعْنَى ، إنَّما هو التَّدريب والارتياض وتصرُّف الفكر فى سائِر الأَغراض » إلخ .

فهذان أَمران لولاهما لكان يجيئنا من ابن زاكور نابغةٌ فذٌّ يصحُّ أَن نُطاول به الأَندلس وما أَنتجت ، والعراق وما أَنجبت ، ولكن مع ذلك فقد خلَّف ابن زاكور ديواناً ضخماً وعوَّض ما تحرَّج عنه من موضوعاتِ التَّشبيب والخمريَّات ، بموشَّحاته العبقريَّات ، وبدائعه الربيعيَّات والزهريَّات .

وإلى هنا نقف الكلام عن ابن زاكور وحياته وننصرف إلى النظر فى آثاره ومنتجاته ، وقد مرَّ بنا أَنَّه بدأَ حياته الأَوليَّة كشاعر فى سن مُبكرة جدًّا بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة على سبيل التقريب ، والقصائد التى قالها فى هذا الطور من حياته لا تقلّ عن نظائرها التى قالها فيا بعد نُضْجه وتفتُّح ذهنه وكما أَن له فى هذا الطور بعض الأَقوال البدائيَّة التى تدلُّ على التكلُّف وتظهر فيها آثار الصنعة فكذلك نجدُ مِثْلها فى آخر ما قال ، بلْ ما هو أَكثر منها سذاجةً وأَعظم منها هَلْهَلةً ممَّا لا تَفْسِيرَ له عندنا إلاَّ الولوع بإِثبات جميع ما صدر عن الشاعر فى جدِّه وهَزْله ، وحالة جمع فِكْره وتفرُّقِه ضنًّا بآثاره على الضَّياع وعدَم إِسَاءَةِ ظَنٍّ بالإِحسان ! كما هو الواجب ! حتَّى لا يخلص له إلاَّ ما سلم من النزاع .

وهذا الغلط قد استحوذ على كثير من أُدبائِنا ، فلذلك جاءَتْ دواوينُهم مشحونةً بالغثِّ والسمين ، ولم يمكن الفرق بين الرخيص منها والثمين ،

وبسبب ذلك قد عملنا هذا المنتخب من شعر ابن زاكور ومثله من شعر اليوسى .

أمَّا فيما عدا هذه الأقوال التى يجب الإغضاء عنها فإن له آثارًا بديعةً حقًّا تَنِمّ عن رقَّةِ طبعه وسلامةِ ذوقه فى الصغر والكبر وفى أوَّل عهده بالنظم وآخره .

وكما أنَّه بكَّر بقول الشعر الجيّد ، بكَّر بكتابة النثر الجيّد كما يدلّ عليه تأليفه لرحلته سنة ١٠٩٤ وهى من النثر المسجوع القوى كما ستراه حينما تأتى ببعض الفقرات منها .

وعليه فهو منذ نعومة أظفاره قد اشتغل بالكتابة والشعر ، ولذلك خلف هذه المجموعة القيِّمة من التآليف مع قِصر عمره وتخلف العصر بأبنائه عن دَرْك تلك الغايات وتأخُّره .

وهذا تَعدادُ ما أبقاه من التّآليف بأسمائِها الأدبيَّة :

١ ـ عنوان النفاسة فى شرح ديوان الحماسة ، ثلاثة أسفار (مخطوط)

٢ ـ مقباس الفوائد فى شرح ما خفىَ من القلائد ، قلائد بن خاقان (مخطوط) .

٣ ـ الصنيعُ البديعُ فى شرح الحلِّية ذات البديع ، يعنى بديعيَّة الصَّفى الحلِّى .

٤ ـ الجود بالموجود فى شرح المقصور والممدود : لابن مالك .

٥ ـ تفريج الكرب عن قلوب أهل الأدب فى معرفة لاميَّة العرب (مطبوع) .

٦ ـ النفحات الأَرجيَّة والنَّسمات البنفسجيَّة بنشر ما راق من مقاصد الخزرجيَّة (مخطوط) .

٧ ـ المُعرب المبين عمَّا تضمَّنه الأَنيس المطرب وروضة النسرين ، جمع به بين كِتَابَى القرطاس وروضة النسرين باختصارٍ كبير (مطبوع) .

٨ ـ الاستشفاءُ من الأَلم فى التَّلذُّذ بذكر صاحب العَلَم ، يعنى به الشيخ عبد السلام بن مشيش ذكر فيه ما له من بنين وإِخوة وأَعمام وبيَّن محَالَّ الشرفاء وأَهلها .

٩ ـ أَنفع الوسائل فى أَبلغ الخطب وأَبدع الرسائل .

١٠ ـ الروض الأَريض فى بديع التَّوشيح ومنتَقى القريض ، وهو ديوانه (مخطوط) .

١١ ـ الروضة الجَنِيَّة فى ضبط السنة الشمسيَّة ، وهى أُرجوزة فى التوقيت وحساب أَيَّام العام .

١٢ ـ مِعراج الوصول إلى سماوات الأُصول ، نظم فيه الورقات لإِمام الحرمين .

١٣ ـ الحسام المسلول فى قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول .

١٤ ـ الدُّرَّة المكنوزة فى تذييل الأُرجوزة ، يعنى أُرجوزة ابن سيناء فى الطب .

١٥ ـ الحلَّة السيراء فى حديث البراء .

١٦ ـ نشر أَزاهر البستان فيمَن أَجازنى بالجزائر وتطوان وهى رحلته المطبوعة .

نثره :

إنَّ نثر ابن زاكور نوعان :

نثرٌ علمي وهو هذا الذى تجده فى كتبه العلميَّة كشرح القلائد ولاميَّة العرب والمعرب المبين ، وهو مرسلٌ بَيِّنٌ فصيح الأَلفاظ. يدلُّ على تمكُّنه من ناصية اللغة وقُدرته على التعبير عن أَغراضه بكل دقَّةٍ .

ونثرٌ فنيٌّ وهو ما نَجدُهُ فى رحلته ورسائله وخُطبه ، ويمتاز بالسجع المواتى من غير تكلُّف وتفَنُّنه فى مطالعه ومقاطعه وعدم تقيُّده فيه بالنماذج الرسميّة والرواسم (الكليشيات) المحفوظة التى بسببها صار كثير من الكتَّاب ليس لهم أُسلوبٌ خاصٌ بهم ، وإنَّما هى عبارات مشتركة وتراثٌ موزَّعٌ فيما بينهم جميعاً ، فتجد كتاباتِهم مُتشابهة وقريباً بعضُها من بعض لنقل اللاحق منهم عن السابق ونسج الآخر على منوال الأَوَّل .

فهذه خطبةُ شرحِ لاميَّةِ العرب ، انظر كيف بدأَها وتخلَص لذكر مقصوده من غير أَن يُبالى بما اصطلح عليه أَهل عصره من التقاليد كالشهادةِ وتأْسيس الصلاة على النبى صلَّى الله عليه وسلَّم وقصر الانتقال على عبارة : (وبعد) أَو (أَمَّا بعد) فضلاً عما أَتى به فيها من التعليل والتفريع والاعتراض الذى يدلُّ على أَنَّه كان يكتب كما يُريدُ هُو كما يُرادُ منه ! وهى :

« الحمدُ لله الذى جعل معرفة كلام العرب ، من أَقوى دواعى الطَّرب ، من أَجل أَنَّه أَحلى من الضرب . على أَنَّ الناسَ فى ذوقه مُتَفَاوِتُو الرتب ، وصلَّى اللهُ على سيدنا محمد أَفصح العرب قاطبة ، فإِنَّه بلغ مشارق البيان ومغاربه ، واسترق ساريه وساربه فلو اجتمعت الإِنسُ والجنُّ على أَن يأْتوا بمثل فصاحته ، ما استطاعوا ولو ظاهر صاحبٌ منهم صاحبه وكانت نسبةُ كلامهم من كلامه ، عليه صلاة الله وعلى آله وأَزكى سلامه ، وإن قادُوا

البيان بخِطامه ، وأفرغوا السِّحر فى قَالَب نثره ونظامه ، نسبة الترب من التبر والخشب من الذَّهب ، ومع هذا فإنَّ معرفة كلامهم وسيلةٌ إلى معرفة كلامه وما أنزل عليه وسَبَّب ، فكانت لذلك من أعظم الوسائل وأجل القُرب ، فلذلك شرحتُ لاميَّة العرب ، وأجلستُها من البيان على مُرتقَب ، وكشفتُ عن وجهها الذى طالما قد انتقب » إلخ .

ويطولُ بنا الكلامُ لو نقلنا من مقاله كل ما يليقُ بهذا المقام ، فلنقتصر على هذا ولنأْتِ بقطعةٍ بديعةٍ من نثره الفنى فى وصف متنَزَّه « كيتان ، بتطوان » نقلًا عن رحلته ، قال :

« وهذا الكيتان : من أجمل المواضع ، وأفضل المتنزهات والمصانع ، تطَّرد خلال رياضه أنهار ، تجرى فى الصباح بذائب اللُّجين وفى الأَصيل برائق النُّضار ، وتسجع بأدواحه أطيار ، لا تُدانيها نغماتُ الأوتار . فقد اعتدل هواؤُه ، واشتمل بالابتهاج بَهاؤُه ، تُغُضُّ الزهراء بطلاوة مرآه ، وتود الزهرة لو ترتدى بملاءة حلاه ، وتحسد جماله النضير ، وطرازه المرونق ، محاسنُ السرير ، وبدائع الخورنق ، ترتاح النفوس فى بساتينه ، وتحيى الأَرواح بشمِّ رياحينه ، إن حلَّ من أنحله الوجدُ بِرُباه ، صاح من حينه واطرباه ، وأَسلاه تسلسلُ غدرانه ، وتغريدُ ورشانه ، عمَّن قطف لُبَّه بأَجفانه ، ومزَّق قلبه بهجرانه » .

فهذه القطعةُ إنَّما هى شعرٌ منثورٌ قد اشتملت على تشبيهات واستعارات وخيال جميل ونظام أَصيل ممَّا لا يكون إلاَّ فى الشعر ! وهكذا غالب نثره الفنِّى .

شعره :

جمعَ ابن زاكور شعره كلَّه فى ديوان سمَّاه : (الروض الأَريض فى

بديع التوشيح ومنتقى القريض) ورتَّبه على حروف المعجم فى الأَوَّل ، ثمَّ صار يُلحق به ما جدَّ له من النظم على غير ترتيب ، وقد انحصرت أغراضُه الشعريَّة فى المديح ، وهو أكثر ما فى الديوان والربيعيّات والزهريَّات والغزل والرثاء والنصائح والإخوانيَّات ، ولكنَّ هذه الأَغراض الثلاثة الأَخيرة فيه قليلة ، ثمَّ المديحُ أَكثره فى الأَولياءِ والصَّالحين من رجال المغرب بالخصوص ، فقلَّ أَن ترى ذا ضريحٍ معروفٍ أَو مقامٍ مشهودٍ إلاَّ وله فيه مدحٌ أَو توسُّلٌ به ، وهو فى ذلك متأَثِّر بشيخه اليوسى وبوسطه المعلوم بهذه النزعة ، وله كذلك مدائح فى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ومشائخه الكُثار وفى السلطان أَيضاً.

ونظمُه كما يُنبئُ عنه اسمُ ديوانه على نوعين : موشَّح وخلافه من بحور الشعر المعروفة .

فأَمَّا موشحاتُه فإِنَّها جميعاً من الإِبداع بمكان لا سيا وموضوعاتُها فى الغالب من هذه الموضوعات التى تهزُّ المشاعر وتمسُّ أَوتار القلوب ، وأَعنى وصف الطبيعة فى مظاهرها الجميلة من الربيع والرياض ، أَو الغزل والنسيب .

وأَمَّا شعره الآخر : فمنه ما هو جميلٌ رقيقٌ سلسٌ عذبٌ ينمُّ عن ذوق أَدبى سليم ومَلَكة مبدِعة مَطبُوعة ، ومنه ما هو شعرٌ بَدائى سَاذَجٌ شبيه بالأَنظام العلميّة وقريبٌ من أَشعار الفقهاءِ ، ونحن لا نعتبرُ هذا من قوله ولا نُقيمُ له وزناً عند النَّقد ، إِنَّما شعره عندنا القسمُ الأَوَّل وهو الذى يُحكم به على شاعريَّته ، ! لأَنَّ لكل شاعرٍ سقَطاً ، ولكل قائل غلطاً ، ولكن من هذَّب شعره وتخيَّره فقد أَخذ بالحزم ومن تركه على أَصله وفيه ما احتفل له وما أُلقِىَ على عواهنه فى ساعةٍ من السَّاعات التى يكونُ قَلْعُ ضِرس الشاعر فيها أَهْوَنَ عليه من قول بيت شعر ! كما يقول الفرزدق فقد ضيّع الحزم وإِن اعتذر بما اعتذر كصاحبنا ابن زاكور الذى يحملُ دَرَكَ ذلك على غَرارة

الشباب ويظنُّ أَنَّ حُسْن الحَسَن يُغطِّى على قُبح القبيح ، فلذلك رتَّب الديوان على حروف المعجم وهذا قوله :

«وبعد فهذا ما أثمر به روض القريحةِ إبَّان الشباب ، وأَلقَحهُ نسيمُ الفكر إذ ذاك من خطإٍ أَو صواب ، رتَّبتُه على حروف المعجم ، ليشتمل المُبْهَم بفضل رداء المُعْلَم ، ويتعزَّز الضعيف ، بجوار ذى العزِّ المنيف» إلخ.

وعلى كلٍّ حال فإنَّا عند الحكم على شعره إنَّما نظرنا فى الديوان كما لو كان منتخباً مهذَّباً صادرين فى ذلك عن قول بشَّار بن بُرد فيما حدَّث عنه العباسُ بنُ الفضل قال :

« كان بشَّار يجلسُ فى مسجد الرصافة فيحضره ناسٌ كثيرٌ ويُحدِّثُهم ويُنشدهم شعره فاندسستُ فى الناس ليلة ثمَّ صحتُ به : يا أَبا معاذ ! مَن الذى يقول :

أُحبّ الخاتم الأَحمـ ر من حُبِّ مـواليه

فأَعرض عنِّى وأَخذ فى إنشاد شعره ، فلبث ساعةً ثمَّ صحتُ به : يا أَبا معاذ ! مَن الذى يقول :

إنَّ سلمى خُلقت من قصَب قصَب السُّكَّر لا عظم الجمل
وإذا أَدنيْتَ منها بَصـلاً غلَب المسكُ على ريحِ البصَل؟

فغضبَ وصاح : مَن الذى يُقرِّعُنا بأَشياءَ كنَّا نعبثُ بها ويأْتى برُذَال شعرنا وما لم نُرد به الجد؟ » .

فإذا انْتَفى شيخ المولَّدين من سَقَطِ شعره واغتاظ ممَّن يَرْويه عليه فابن زاكور أَولى بذلك وأَحرى أَن يغضَّ الرَّاويةُ النظر عن ضعيف شعره .

(طريقتنا فى الاختيار والترتيب)

إنَّ ابنَ زاكور جمع ديوانه بنفسه ورتَّبَه على حروف المعجم ، ثم بعد الفراغ من ذلك جعل يُلحق به ما جدَّ له من النظم دون ما ترتيب ، ونحن بعد أن تخيرنا من شعره كلَّ ما فيه روح وعليه مُسحة من الجمال وأسقطنا سفسافه ورديئه ، ارتأينا أن نُرتِّبه على الأَغراض التى نظم فيها وهى بحسب الاستقراء والتَّتبُّع سبعة :

المديح ، والربيعيات ، والزهريَّات ، والغزل ، والرثاء ، والنصائح ، والإخوانيَّاتِ . وهذا الترتيب فضلاً عن كونه أفيد من الوجهة الفنيَّة ، لا يُفيتُ فائدة الترتيب الأَبجدى التى يُمكن أن يُتدارك بفهرس خاص .

ثمَّ إنَّنَا ربَّما تخيَّرنا من القصيدة أو أَخذنا من أطراف القطعة حرصاً على ما فى بعض الأَبيات من سحر وجمال يكونان مغمورين بغثاثة بعض الأَبياتَ الأخرى وفُسُولتها ، ولولا عمليَّة البَتْر هذه ما صحَّ روايةُ جميعها .

ولا يقولَنَّ أَحد كان أولى أَن تعرض علينا الديوان بنصِّه وفصِّه وقضِّه وقضيضه ونحن نختار لأنفسنا منه ونأْخذ ما رضيَتْه أذواقُنا وهذا هو الأَشبه بأَمانة العلم وحَرْفيَّة النَّقل ، فنقول له : إنَّنَا ما قصدنا نشر الديوان ! ومن أَراده فعليه به ليرى ما يُفيد منه ، وإنَّمَا عملنا هذا المنتخب على طريقة أَئِمَّة اللغة وشيوخ الأَدب الأَقدمين الذين كانوا يتخيَّرون دواوين الشعراء وينتخبون من أَشعارهم كل نفيسٍ وغالٍ قصد ترغيب الناس فيها وإمدادهم بما يستحق أَن يروى منها مُوفرين عليهم تعب البحث والتَّنْقيب .

ونعتقد أَنَّه حتَّى بعد نشر ديوان ابن زاكور بأَكمله سيبقى هذا المنتخب محتفظاً بمكانته لدى الأُدباء مُعْتبَرًا أَنَّه الديوان الحقيقى لابن زاكور .

عبدُ اللهِ كنُّون الحسنى

خطبة الديوان لابن زاكور

حمدُك يا مَن شرّف أعيان البُلغاء وبُلغاء الأعيان، بما ذلّل لهم من شموس البلاغة والبيان، فصرّفوه بأعِنّة الأفكار فى كل مَيْدان، وأعلى هِمَم مَن سَدَّ منهم أبواب الطمع مناطِ الحِرمان، ومَطافِ الذلّة والهوان! أشرفُ ما افتُتح به ديوان، لأنّه على الكمال: وهو لك خاصّة: عنوان، وشُكرُك لأَن أوليتَ لواءَ البراعة، وألحقتَ بمَن ترهَبُ أربابُ العوالى يَراعه — ليس لى بتأْديته يَدان، ولاوجه حُسّان، ولو أُيِّدتُ بقوة عبد المَدان، ولَهْجَة حَسّان، إذ هو من فريد جوهر الإحسانِ، وشُكُره (واجب) على كل إنسان. والصّلاةُ على مَنْ عَصمتَه من الشعر، لِيَسْلَم من تطرّق الخلل ما أيَّدتَه به فأعجزَ الفحول من مُحكم الذكر: أفضلُ ما اقتُبس به أنوارُ العِرفان، ونعم المُنجِد فى تنوير الجَنان، ومَحْقَ دياجير الأشجان.

اللّهمَّ صلِّ وسلم عليه وعلى آله الأبرار، وصَحْبه فُرسان البلاغة والمضمار، من كل حديد اللِّسان والسِّنان، صلاةً وسلاماً يُنْشِقانِنا فى الحشر نسيم الرضوان، ويُبَوِّئانِنا الفِرْدَوْسَ مع الحُور الحِسان.

أمّا بعد: فهذا ما أثمر به روضُ القريحة إبّان الشباب وألقَحَه به نسيمُ الفكر إذ ذاك من خطأ أو صواب، رتّبتُه على حروف المعجم، ليشتمل المبهم بفضل رداء المُعلَم، ويعزّز الضعيف، بجوار ذى العز المنيف، وذلك أنّى لم أقتصر فيه على سلوك مجاز، بل يوماً ببغداد ويوماً بالحجاز، وآونة بعُكاظ وطوراً بذى المجاز، وسمّيتُ جمعَه الصّحيح، وقد طرز آسَ القريض بياسمين التوشيح، ومزج عويص أبى حزام برقيق عروة وابن ذريح: (الروض

الأَريض ، فى بديع التوشيح ومنتقى القريض) .

وكثيرًا ما أُكنّى فيه بالمُدام والراح ، عن الطرب والارتياح ، وما يَرِدُ على القلب من الأَفراح ، فلا يتوهَّم مَنْ لَمْ يدرِ الصباح من المصباح ، وقد رأَى ما عارضنا به « شُقَّ جَيْبُ الليل عن نحر الصباح » أن المراد التى تطلع فى بُروج الأَقداح ، ويَدُور بها فَلَكُ الرَّاح ، فيُلزِمُنى بمقتضى بلادَته وأنا البرىءُ أَقبح جُناح ، إذْ تلك لا يصفُها ، إلاَّ مَنْ يعرفُها ، ولا يذكرُها ،إلا مَنْ كان مثله من الأَنذال لا يُنكرُها ، وإنَّما فعلتُ ما هو بين الأَفاضل مطروق ، ويُعمَّر به عند أَرباب المحاسن أَىُّ سُوق ، وهل نحن إلاَّ مثل مَن كان قبلنا ، نُحسنُ ببديعهمْ كلامنا ونطرِّزُ باستعاراتهم قولَنَا ، أَلاَ وليَشْهَد علَىَّ ذو الأَسماء الحسنى ، أَنّنى كلَّما وصفتُ حسناً أَو شبَّبْتُ فى الظاهر بما يفنى ، فالمقصودُ إن لم يصلُح كونه المُعنَى ، إنَّما هو التدرُّب والارتياض ، وتصرُّف الفكر فى سائر الأَغراض .

وممَّن مَنَّ علىَّ به ، وجذبنى إلى العُلاَ بسببه ، وجعلنى من قائليه استحساناً ، وتدريباً للفكر وامتحاناً ، وتطرُّباً لا تكسُّباً ، أستمدُّ التوفيق والهداية ، والغنى بالكفاف والكفاية ، وأَن يُحسن لى فى الختم كما أَحسن فى البداية ، بجاه أَفضل مَنْ علَّه بكأْس الرِّسالة والولاية ، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومنْ تَبعَهُم بإحسان بلا نهاية !

المديح

جملةُ المدح :

ديوانُ حبِّك بالتوفيقِ مبتــدأ ... يا مَن به الحُسن مختومٌ ومُبْتَدَأُ
وجملةُ المدحِ لم يُرْفَعْ لَهَا خبرٌ ... إلاَّ وأنتَ – رسول الله – مُبتدأُ
وبهُداك جذى الأَفهام مُوقَدة ... يا مَن به غضبُ الجبَّار منطفئٌ
رقَّت سجايا بنات الفكر وانتعشتْ ... مُذ علَّها من ثُدىٍّ مجدكم لَبَـأُ
ومنذ حلَّيتُها بدر مدحــكم ... لم يبقَ فى القلب لا رين ولا صدأُ
صلَّى عليك إلهُ العرش ما تُليَتْ ... أَمداحُكم وزها بذكركم نبأُ
وما جرى نهَرٌ وما ذكا زهــرٌ ... وما تربَّع من صوب الحيا كَلَأٌ
وما ترفَّع من أنواركم قمرٌ ... وما تضلع مِن أسراركم مَلَأٌ

وقال فى مدح الشيخ محمد بن عبد المؤمن بالجزائر أواخر ربيع الثانى (١٩٠٤) وهو من بديع الشِّعر :

البحرُ قد أَبدى سنا نَضرته ... فهامت الأَعينُ فى بَهجته
قد خلعَ الحسنُ عليه حِلًى ... وانتظم الإبداع فى لبَّتِه
كأنَّه والشمسُ قد أَودعتْ ... شُعَاعها الأَنضر فى لُجَّتِه
مَطارفُ العِقْيان قد طُرِّزتْ ... باللَّازَوَرْد الغضِّ من زُرقتِه
ذكَّرنى عهدًا لنا قد مضى ... بأَرضٍ تطوان على ضِفَّتِه
فى جنَّة أَربتْ على جِلِّقٍ ... علَّمهــا الحُسنُ بأَلْويتِه
ما شئتَ من نَوْر كدُر على ... زبرجد يسبى سنا خُضرتِه

ومن غُصون قد سقاها الحيا فعربدتْ بالرَّقص من خمرتِه
دبَّجها النُّوارُ من أَصفر يحكى النُّضار الغضَّ فى كُهبتِه
وأَحمرٍ يُشبهُ خدَّ الذى أَنحلنى الشوق إلى رُؤْيتِه
حيثُ المُنى تُطلعه قمرًا تنأَى دُجى الأَحزان من طُرَّتِه
لم يعرُه هجر يهيج الجوى ويعطف القلب على حُرقتِه
إلاَّ نِفارًا هو فى طبعه إنَّ نِفَارَ الظَّبِي من خِلقتِه
ينفِر تِيهاً ثم يثنيه ما يُبصر من وَجْدى على نُفرته
فقلتُ إذ أَبصرتُه تائِهاً : كُنْ راضياً حِبيٍّ علىَّ وتِـه
«ولا تُعذبْنى بنار الجفا يا مَن حياةُ الصَّبِّ فى قبضتِه»
فافترَّ أَيْن الدرُّ من ثغره ؟ وأَيْن نَشرُ المسك من نَكهتِه؟
وأَيْن بدرُ التِّمِّ من وجهه ؟ وأَيْن لَمعُ البَرق من غُرَّتِه ؟
واهتزَّ عُجباً بخضُوعى له فأَيْن غُصنُ البانِ من هزَّتِه ؟
أَىُّ هلال فى قضيب نَقِى ! أَضاءَه الدَّيْجور من لِمتَّه
عانَقْتُ من قامته غُصُناً كما قطفتُ الورد من وَجْنَتِه
لم أَصحُ من سُكرى بتَعنيقه إلاَّ بتقطيعى على فُرقتِـه
أَىُّ زمان قد مضى مُسرِعاً يا حرَّ أَنفاسى على سُرعتِه
لم أَنتَبِه من نوم لذَّته إلاَّ بأَشواقى إلى أَوْبتِـه
يا ليت شعرى والمُنَى ربَّما تُساعِد المُشتاقَ فى بُغيتِه
هل يَدنُونَّ الغربُ بعد النَّوى فأَقطِف الآمالَ من ضَيْعتِه
وهل أَرى تلك البُدورَ التى تُزْرى ببدر الأُفق فى طلعتِه
ما أَقدرَ الله على رَدِّ مَن نَدَّ به البَيْنُ إلى فِئتَه
فَيا نَسِيماً مِنْ جِماهم سرَى شمِمْتُ عَرفَ المِسك من هبَّتِه

كيف الرُّبا والمنحنى والنَّقَى ... والنَّهرُ والروضُ على ضِفَّتِه
عَهْدى بها مَرتعَ كُلِّ رَشا ... لا راعَها الدَّهرُ بتنْحِيته
وكيف أَحبابى وهل علمُوا ... شوق الذى أُوبِقْتُ فى أَزمتِه؟
نكَبَنى الدهرُ ببيْنِهمُ ... أَشكُو إلى الرَّحمن من نُكبَتِه
أَمسَيتُ صبًّا بالجزائر لاَ ... أَعدِمُ شجْوًا ذبتُ من حَسْرَتِه
لولا ابنُ عبد المؤمن المرتضَى ... قضَى فؤادى من لظى لوعتِه
جعلتُه قصدى ونعم الذى ... يقصِدُه الإِنسانُ فى غُربتِه
العالمُ النحريرُ مَن دَأْبُه ... أَن يُنقذَ الملهُوف من كُربَتِه
وأَن يُواسِى مَن به ركَضَتْ ... خيلُ النَّوى أَو حادَ عَن وِجْهته
أَنَخْتُ آمالى به فانْثَنَتْ ... عاطرةَ الأَنْفاس من نَفْحته
إن تَسأَلِ الأَحباب عن نُزُلى ... فها أَنا أَنعَمُ فى جنَّتـــه
أَقطفُ أَنوارَ المُنَى غضَّةً ... تحتَ ظلال العلم فى حضرته
أَثْقَلَنى بالبِرّ حتى لقد ... أَعجزُ أَن أَنفكَّ من حَوْزته
ما شَانَه عيبٌ سوى أَنَّه ... يُغضى على مثلِى فى هَفْوته
ويُسعفُ الطالبَ فى قَصْده ... ويُسعدُ الراغبَ فى رغْبَتـــه
نُزْهتُه فى العلم يَدرُسُه ... لا عاقَهُ المقدارُ عن نُزهته

* * *

ما ذا يقولُ المرْءُ فى مدحـــه ... وقد تَنَاهَى الدهرُ فى خدْمته!
والشَّمسُ أَوْلَتْـــه أَشعَتَها ... والبدرُ حلاَّهُ بتَحليَته
وخيَّمَ المجدُ بساحَتـــه ... وفاضَ بحرُ الجود فى بُردته
بَدر الهُدى والعلمِ يا من غَدتْ ... تَسجدُ أَمداحِى إلى قِبلتِه
خُذها على رغمِ العدا غادةً ... لَفَّعهـــا الصِّدقُ بأَقْبِيَته

خَوْدٌ زَهتْ إذ بُشِّرتْ بكم ولَفَّها المجدُ بأَرْدِيَتـه
كَمْ رامَها قَبْلك ذُو همّةٍ فلم تُصغِ سَمْعاً إلى خِطْبَتِه
بنت ابن زاكور فمنْشَؤه فاسٌ وأَهلُ الفضل من أُسرتِه
صداقُها الغَالى قَبُولُكَهَا منْه فما أَغْلاهُ فى نيَّته
فاسمحْ له واقْبَل هدِيتَه وعَفٌّ بالصَّفح على زَلَّته
لا زلت ذا حال تَسوءُ العِدا ما حَنَّ ذو بُعْدٍ إلى تُربَتَه
والله يُبقيكَ إمامَ هُدًى ما غرَّدَ القُمرِىُّ على دوْحَته

وقال مُوشَّحاً فى السلطان مولاى إسماعيل عارض به (لقد جار عن قصدى) :

نظمتُ حِلَى المبـدى جميـلَ الصفـات
فجاءَتْ كما العِقْد بجيـد المَهَـاة
فريدُ المُنى منظوم بفضْلِ الأَمـير
أَميرٌ به مَوْسُوم جَنـاح الكَسـير
يلُوذُ به المظلُوم فنِعْم النَّصـير

* * *

له همّةُ الأُسْـد وفَتْكُ البُـزاة
وفيه حيا الخَـوْد وحِلم الثِّقـات
وعِفّةُ ذى النُّسك ونَفْـع المطـر
ورائحـةُ المِسك وحُسنُ القَـمَر
بقيتَ سنَا المُلْك مُنيـرَ الغُـرَر
تعُلُّ ذَوى الوُدّ بكَـأْسِ الهِبَـات

أيا كوكب السَّعْد وعَيْنَ الحَيَـاة
أمـولاىَ إسماعيل أَشَمْسَ الملـوك
بمَدْحك صارَ القيل كَدُرٍّ السُّلُـوك
وكاد من التَّسهيل على مَن يحُـوك
يُنالُ بلاَ قصد رقيقَ السِّمات
كما فاح من نَجْد لَطيفُ النَّبـات
يزيد به ذَوْقـاً غـرام اللَّبـيب
وينعَم من يشْتَق بهَجْـر الحبـيب
وراقِمُـه يَرْقَى على ابن الخطيب
فَخُـذه كما الشُّهد مـع الرَّشَفـات
حكى «جار عن قصدى» هـوى الغانِجـات

تقريظ « عرج بمنعرج الهضاب »

يا حُسنَه والحُسنُ قيَّد ... فيه البَصيرةَ إذْ تأوَّد
تَخِذَ الملاحةَ ملْبَساً ... وكَسا الملامةَ من تَبلَّد
وسقَاه حيثُ سَبَاه ممَّا ... يَزْدرى بسُلاف صَرخَد
فمشَتْ حُميًّا حُبِّه ... فى لُبِّه فصبَا فغرَّد
غنَّى ! ولَحْنُ غِنائِهِ ... أَرْبَى على نغَمَات معْبد
وشدا بما فيه التخلُّ ... صُ من عنا لأَجلٍ مَقْصد
عقدُ العُلى والحسنِ يشْهَد ... لَوْلا « ابن مسعود » تبدَّد
كَهْفُ الورى « الحسَنُ » الذي ... دين الإله به مؤيَّد
خبر يُبيدُ الخُبر بعْ ... ض مَديحه والخُبر يَشْهَد
علاَّمةُ الدنيا بلا ... ثُنْيا ومِصْقَعُها المُسَدَّد
بحرُ الشريعة والحقيـ ... ـقة فاضَ فَيْضاً لَيْس يُعْهَد
بَذَّ الذين تقدَّموا ... واسْتَشْهد الأَخْبار تُرشَد
فَسَميُّه « البَصرِىُّ » لَوْ ... رزقَ الحياةَ له تردَّد
حَسَنُ العلا هُوَ والحِلى ... أَخوان : ذاك بذاك يُعضَد
بيْن الهُدى وفعَاله ... ومقاله حِلْفٌ مُؤَكَّد
مَن ضلَّ عن أَعلامه ... لم يَدْرِ كيف الله يُعبَد
عُجْ بالحِمى مِن حبِّه ... إن شئتَ فى الدَّارين تَسعد
وحذارِ صُحبَةَ ناقصٍ ... وتراك مَن يأْبَى ويَابَد
مَن لم يجد فى حبه ... طعْمَ الحلاوة ليْس يُحمَد
مَن لم يرِدْ من بحْره العذ ... ب الموارد لَنْ يُسدَّد
عكسُ النَّقيض موافقٌ ... لمُريده فى كُلِّ مشْهَد

والدينُ والدنيا لمن وَالَى مودّته بمرصَد
واليُمن والإقبال فى لَفْظ الثَّناءِ عليه مُغْمد
لا يعرُجَنَّ إلى العُلا من لم يَلُذْ منه بمصعد
لا يفتَحَنْ باب المُنَى مَن لم يفُزْ منه بمقْلَد
يفرى دياجيرَ الهَوى مَن يَقْتدى منه بفَرقَد
ويُجارُ من جَمْع العدا مَن ينتمى منه لمُفْرَد
يَعنُو له الجبَّارُ ذو البتّار وَهْوَ به مقلَّد
ويهَابُه مَن لَمْ يذُقْ لوداده طَعْماً فيُرعَد
سرٌّ من الرحمن لا شرٌّ من السلطان أَخْمَد
وعنايةُ الرب الرؤوف أذلّت البطَل المزَرَّد
قد جاءَ شمس معارف والجهلُ أَتْهَم ثمَّ أَنْجَد
والدِّينُ مفصُومُ العُرى والغىُّ أَبرق ثمَّ أَرْعد
والحقُّ مفْلُولُ الشَّبا والبَغْىُ صارمُه مُهنَّد
والخيرُ فاعلُه تبَدَّد والشرُّ مُوقِدُه تودَّد
والغَربُ غربُ نجاته متَخَرِّقٌ والبأْسُ مُوقَد
وبغاتُه مستَنْسرٌ وسَراتُه سارت بجدْجَد
وشحا[1] الردى أَفواهَه (فُضَّتْ) لِبَلْع وُلاة أَحمَد
صلَّى عليه اللهُ ما نصَر الإلَهُ به وأَيَّد
والآل والأَصحاب مَن نصروا النبىّ بكلِّ مجْدَد
من كُلِّ نجم طالع فى برج سامى الجيد أَجرد
والعِلمُ مما قد عرا فيما أَقام جوًى وأَقعد

(١) فتحها .

فأَعادَ من أَنواره ما قد خبَا والعودُ أَحمَد
وبنى قواعِده وشيَّد وحوى شوارده وقيَّـد
وأبادَ من سُحب الجها لة ما تكاثف أَو تكلَّـد
وسقَى رياضَ فُنونه فاخضرَّ منْها كُل أَمْلد
فتَفتَّقَتْ أَزهارُها وتأَرَّجت فى كلِّ معْهَـد
وسرى لأَقصَى الأَرض من نفَحاتها مُبْرى المسهَّد
ورَمى الضَّلالَ بأَسهُم من سُنَّة الهادى فأَقْصَد
فالدِّينُ أَصبَح ضاحكاً حلوَ الجلا فى زِىِّ فَوْهَـد[1]
لِمْ لا وقد زُفَّتْ له الغَ رَّاءُ حاليةَ المُقلَّـد
وأَدار خمر حقَائقٍ لله ما أَحلى وأَرْغَـد !
ثبتَتْ لَها الأَفراحُ إِذ رقصت لها الأَرواحُ من دد
من ذاقَ منها شربةً أَولته سُكرًا ليس يَنفَد
فإِذا صحا منها بها طرقتهُ لَذَّتُها فعَرْبَـد
آخى بها بين العباد فأَصلَحت ما الصَّحوُ أَفسَد

* * *

عرِّجْ بأَنجاد العُلاَ من أَرضه تَسعد وتُنجَد
تجد المُنى دانى الجَنى وتُصافح الآمالَ باليَـد
وتَرى الجلالَ مخَيِّماً فى بُرد مِفضال مُمجَّـد
والبِشْرُ يعشى نورُه عيْنَ العنا والوَجْد يُطـرد
والفضلُ منشُور اللِّوا ءِ لمَن تصوَّبَ أَو تصعَّـد
والحلمُ راسٍ طودُه وقصائدُ الأَرشاد تُنشَد

---

(١) الفوهد : الغلام السمين المراهق .

والعلمُ ماجَ عُبَابُه يُروى ويُشبع من تـورَّد
مَن لم يَطُف بحماه بيتِ الـ مكرُمات فليس يُرفَد
مَن لم يُشاهد درسه ونفائسُ الأبحاث تُـورَد
والنُّجح دانٍ والوقـ ارُ يحفُّ منه أغرَّ أوْحـد
وجدا الصواب يمدُّه هطَّالُه بزلال مَدْمَـد[1]
والبِشْرُ يُوعِدُ بالمُنى وسحائبُ الأوهام تُبعَـد
واللفظُ يَجْلُو خرَّدًا قدزفَّها الفكرُ المويَّـد
والفَهمُ يُنشدُ مَن تبلَّد لبِّيك أَبشر لا تـأَلَّد
لم يجْنِ تَمْر العلم بل لم يدرِ كيف العلم يُنشَد

* * *

مَن مُبلغٌ عنِّى المـ اعِدَ والمعانِدَ حيثُ شرَّد
ليَطيبَ ذا نفْساً فيَحْمد ويزيد ذا رِجْساً فيَحْـرَد
أَنى اقْتَنَيْتُ من العُلاَ ما لا يُحَدُّ ولا يُعَدَّد
جالَستُ (فَخْرِ الدين)و(الإِ رشادُ) بين يَدَيْه يُسرَد
وسمعتُ (عزَّ الدين) إِذْ أَملى (قواعده) لـِرُوَّد
وشهدْتُ (سعْدَ الدين) قد أَقْرا (مقاصدَه) لِقُصَّـد
ورأيتُ (مجْدَ الدين)و(القـ اموس) مُشكِلُه يُقَيَّد
فأَفادنى من نَظْمه المُـ زرى بـأَسْلاك الزَّبرجد :
(عرِّج بمُنعَرج الهِضَـ اب)يتيمة العقْد المُنضَّـد
وقصيدة نضَدت حِلَى الإِبـ داع من مَثْنى ومَوْحَد
نَظَمَت من الأَمثال ما لم ينتَظم بطُلى مُجَلَّـد

---

(١) نهر .

وحَوَت من الأَمثال ما   لم يحْو ديوان (المُبَـــرِّد)
يُبْدِى نسيمُ نسيبِها   لُطفاً صبابةَ مَن تجلَّـــد
وتقُودُ راحةُ وَعْظِها   مَن قد قسا قَلْباً بمِقْــوَد
ومديحُها يُنْسيكَ ما   صاغ المُخَضرمُ والمُولَّـــد
لم لا ودُرُّ عقوده   لمؤازِرِ الإِسلام مُسنَد
ذاك (ابنُ ناصر) الذى   نصَرَ الرشاد وقد تنَهَّـــد
شمسُ الهُدى مُردى الردى   غيْثُ النَّدى المولى محمَّد
سحَّت على جدثٍ حوى   منه النَّصير لمن تشهَّد
والعِلمَ والتَّحقيقَ والنُّصـ   ـح العَميم لكل مُهْتَد
وأَسَحَّ من وَبْل الحيَا   وأَعمَّ منه جدًا وأَفْيَـــد
ومَدار أنوار الهُدى   ومَنَار عِرْفانٍ وسؤْدَد
هطْــلاءُ من روْح الذى   أَبقَى مآثره تُرَدَّد
وأَنالَهَا من بعده   مصباحنا ذا اللَّذ توَقَّـــد
نور الزَّمان (أَبا على)   عزٌّ من لبِّى ووحَّـــد
مَن لا يُحاوَلُ شأْوُه   فى حلِّ إشكال تعقَّـــد
وسَلِ الدروس أَو الطرو   سَ فإنَّها ليست تُفَنَّد
إن شبَّ جمْر ذكائه   شاهدتَ كيف الجهل يصخَد
وإذا انتَضَى من هَدْيه   عَضْباً رأَيتَ الزَّيْغَ يُحصَـــد
فكأَنَّ (سيف الله) عند الشهـ   ـام قد شام المُهَنَّـــد
أَو (حمْزةٌ) وهو الغَضَنْـ   ـفَر يقصِمُ الجند المجنَّـــد
أَو (ذا الفقار) يقدُّ من   جمْعِ الخوارج ما تمــرَّد
أَو عَضْب (عَمْرو) ذا الصَّر   امة يوم فارس إذ تجرَّد

سجَدتْ رؤُوسهم له   والفُرس للنِّيران سُجَّـد

* * *

مولاى يا مَن حاكَ من   غزْل البلاغة كلَّ مِحْفَد
وروى أَحاديث الفضا   ئل والمناقب عن مُسـدَّد
عن ناصرِ الدين (ابنِ نا   صر) الذى أَحْيَى وجـدَّد
شِعْرى أَتاكَ ووجهُه   بحيائه منكم مُـورَّد
رفَّلتُه بمديحكم   إذْ منه للآمـالِ يُصْعَـد
وعقَلتُه بعُلاكمُ   فلِذا الرَّوِىُّ به مُقَيَّـد
إنْ كان ساءَ مزاجُه   وشوى فأَنْضَج ثمَّ رمَّـد
وأَساءَ إذْ أَهدى الزُّيو   ف لمعدِنَىْ وَرِقٍ وعَسجَد
بل قَطرةً من آسنٍ   للنِّيل حينَ طما وأَزْبَـد
فاعذِرْهُ يا مولاىَ إن العُ   ذر عندكُمُ مُمَهَّـد
هذا وإنَّ تأَنُّقى   ما مدَّ * جناه من يَـد
قطفتْه راحةُ حبكم   من روض فكر غَيْر أَغْيَد
أَذْوَتْه أَعصارُ تَهُبُّ   عليه من نفحات حفَّـد
وقَبولُكم إيَّاه يا   مولاىَ يرفَعُه فيَسعَد
ويفاخِرُ الدرَّ الذى   فى جِيد أَجْيَد قد تنَضَّـد
هَبْ لى رضاك .فمن يفُزْ   برضاك يقْهرْ كلَّ أَصيَـد
ويُهج تحرُّق كُلِّ أوغَد   فيَحِن غداةَ اليوم أَوْغَد
فلقد تعوَّدتَ الرضى   والقَرمُ يحفَظُ ما تعـوَّد
أَبقى الإلَهُ وجودَكُم   والبرُّ فى الدنيا مُخَلَّـد
يحيى فيُوجَد حين يُفقَد   مَن ليس يُفْقَدُ حين يُوجَد

* سقط من هنا فى الأصل ما به يتزن البيت و يتضح المعنى .

وقال ناسجاً على هذا المنوال فى مدح السلطان :

أملَى الهنا والسَّعدُ ردَّد نصرٌ لمولانا مؤيَّد
وسعـــادةٌ معقودةٌ ببُنُـــوده فى كلِّ مشهَد
وسلامةٌ تُهدى له الآمَالَ واضحـــةَ المقلَّد
وصرامـــةٌ تجنى له زهرَ المُنى من كلِّ مقصَد
وعزائمٌ تَسبي له الأَعـــداءَ من مثنَى وموحَد
وغنائـــمٌ تُجبى له ممَّن عن الإذعان عرَّدْ
مـــولاى (إسماعيل) مَن جندُ الإلَه له مؤيَّـــد
مـــولاى إسماعيل مَن جمعُ العُداةِ به مُبَدَّد
مَلِكٌ عـــلا فَوقَ العُلاَ والعفْوُ عن ذى الجُرم يَشْهَد
ملكٌ تنـــاهى حمْدُه إذْ ليس مَن فى النَّاس يُحمَد
فالسَّعدُ من أَنصـــاره والحِلمُ رائدُه المسدَّد
وله مـــن الرُّعْب الذى يُعيي العدا جُندٌ مُجنَّد
أوَليس مـــن أَبناءِ خيـر الخلق مولانا (محمَّد)
صلَّى عليـــه اللهُ ما دامت مواهِبُه تُجدَّد
والرُّعبُ كان يَؤمُّـــه شهرًا فيخذُل كُلَّ مُبْعَد
لا بدَع فى أَن يقتَنى ما للأَب الولَدُ المُنجَّد
يغْشَى الوَغَى مُستَبْشرًا والبأْس منها قد توقَّد
والضربُ أَبرق ثم أَرعد والطعنُ أَتهم ثمَّ أَنجد
والسُّمْرُ تُغرَس فى الكُلا والبيضُ فى الأَعناق تُغمَد

والأَرضُ تُكسى حُلَّةً بدم المجدَّل والمقَــدَّد
فهناكَ يزهدُ فى الدُّنَى إذ ليس فى الإقدام يزهَــد
وهُنَاك يعظُمُ بِشرُه والويلُ منه لكلِّ أَصيَد
فيفُل جمــعَ كُماتها ويَحُلُّ منها مــا تَعقَّد
ينسى نجاة من انثنى ويقدُّ جلدَة من تجلَّد
والليثُ أبطش ما يكو ن إذا تبسَّم أَو تـأَوَّد
شبهٌ به المقدام لَيْـ ثَ الله (حمزةَ) ذا المهنَّد
أَوْ جــدَّه المولى (أَبا حسن) يدمِّر مَن تمرَّد
أَو فارس (اليرموك) سيـ ف الله (خالدًا) المخلَّد
أَو صاحبَ الصَّمصام ليـ ث (القادسية) حين ينْهَد
أَو جدَّه (النَّفْسَ الزَّكـ يَّة) من سَنا المنصُور أَحمَد
دَعْ ذكر بسطام وعنتـ رةِ الفوارس حين يحرَد
وربيعــةَ بنِ مُكدَّم ودُريدِهم وأَخيــه معبَد
ومُــــلاعب لأَسنَّة وابنِ الطُّفَيل خليل أَرْبَد[١]
هذا الملاعبُ للأَسنَّـ ة إذ جبِينُ الحرب أَسوَد
هذا المصادِمُ والمقَـ اوِمُ والمسَدَّد والمؤَيَّــد
هذا المضاربُ والمط اعِنُ فضلُ هذا ليس يُجْحــد
هذا المقَدَّمُ رمْحَــهُ فى ثُغْرة البَطَل المزرَّد
هذا المبَدِّدُ من تـأَلَّـ ب فى الغواية أَو تــوَدَّد
هــذا المــرفِّعُ كـ لَّ أَورع والمعفِّرُ كلَّ أَوغَد

---

(١) هو أربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأمه كان وفد على النبى (ص) غادراً مع عامر بن الطفيل فدعا عليه فهلك . ولهذه الوفادة مع عامر وصفه بخلته .

هذا المنظَّمُ فضْلُه عِقْدَ المعَالى اللَّذْ تبدَّد
هذا الذى بحلَى المفَ اخر والمآثر قد تفَــرَّد
هذا الذى بمُلَى المحـ امد والمادح قد تزرَّد
هذا الذى يروِى أحـ اديثَ الفضَائل عن (مُسَدَّد)[1]
هذا الذى عــادتْ به أفراحُنــا والعود أحمَد
فحيــاتُنا بوجــودِه للهِ مــا أهْنَا وأرغَــد !
وجميعُنَا عن جُــودِه م العَذْبِ الموارد لَيْس يُطْرَد

* * *

أَخليفَــةَ الله الذى كلُّ الفخار إليْه مُسْنَد
شعرى ازْدَهى بمــديحكم حتَّى ازْدرَى بحلى الزَّبرجَد
أَرْبَى تناسُقُ نظمــه بكمُ على العقْد المنَضَّد
فاخلَع عــلى أعطافه حُلَلَ الرضى فبذاكَ يَسعَد
وقَّاك مَن أَسْماك من شر تصوَّب أو تصعَّد
وبقيتَ يا شمْس الهُدى رُكنَ المَلاذ لمَن تشهَّد
واصعــد أميرَ المؤمنيـ نَ ودُم قريرَ العين واسْعَد

ونظم على لسان بعض الأشراف الصقلِّيين تحية إلى جدهم المصطفى (ص)

أَزِف الرحيلُ فخانَنى صَبْرى إذْ هاجَ ما فى القلب من جمرِ
رُمْتُم أَحبَّتنا غداةَ غــدٍ أن تظعنُوا بالقَلْب والفكرِ
رُمتُم أَحبَّتنا غداةَ غدٍ أن تُرسلوا دَمعى كما القطرِ
رُمتُم أَحبَّتنا غداةَ غدٍ أن تَرحلُوا عنى إلى (بدرِ)

---

(١) هو مسدد بن مُسَرْهَد أحد رواة الحديث ومشيخته .

رفقاً أَحبَّتنا على زَمنٍ | في جِيدِه الأَغلالُ من ضرٍّ
رِفقاً أَحبَّتنا على دَنفٍ | في جِيده الأَصفادُ من عسرِ
الله حادى الركْب فى جلَدى | الله حادى الركب فى أَمرى
يابدرُ ركبُك زلَّعوا[1] كبدى | يا بَدْرُ ركبُك صدَّعوا صَدْرِى
يا بَدرُ ركبُك أَضرمُوا حَرقى | يا بَدْرُ رَكبُك شَرَّدُوا صَبْرى
حَمَّلْتُهم لِحمَاكَ مَنْزِلَ ما | قد أَنزَلَ الرَّحمن من سِرٍّ
ومَحطِّ جِبريل ومَهْبِطــه | ومُعَرَّسِ الرَّحمَاتِ والبِرِّ
أَزكى سلامٍ طيِّبِ النَّشْر | كنَسِيم تُرْبك مِن ضَناً يُبْرى
أَوْدَعتُهم لحماكَ وهْوَ حَرٍ | بمُبَرِّح الأَشواق ذى الحَرِّ
شوقاً تطيرُ بهم عَزائمُه | شوقاً يهدُّ قوائم الصَّخْر
شوقَ الذى بانَتْ أَحِبَّتُه | فهذَى بهم فى السِّر والجَهْرِ
شوقَ الغريب إلى منازلِه | شوقَ السَّليل إلى الأَبِ البرِّ
يا رحمةَ الرحمان أَنزَلها | والنَّاسُ فى بَحْر من الشَّرِّ
يا شَمْس هَدْى الله قد طلَعَتْ | والنَّاسُ فى داجٍ من الكُفْر
ها عبدُك المسكِينُ لاذَ بكم | يرجُو الأَمانَ بكُم من الدَّهر
هانجلُك المضطرُّ حطَّ بكم | حِمْلَ الذُّنوبِ القَاصِمَ الظَّهْر
يُدْلِى لمَجْدِك بالحُسَيْن كمَا | أَدْلَى الحُسَيْنُ بكم إلى الفَخْر
فاحفَظ حُسَيْنَكَ فى قرَابَتِه | واكفِ الصقَلِّىَّ فَادِحَ الضُّرِّ
وأَنِلْه مِنْ جَدْواك مُنْيَتَه | فى الدِّين والدُّنيا وفى النَّشْر
وافْكُكْ رسولَ الله نَاظِمَهُ | لِسليلِكم من ربْقَة الخُسْر
أَلْبِسْهُ من نَسْج الرضَى حُلَلاً | فى داره الدُّنيا وفى الحَشْر

(١) سلبوا .

صلَّى عليْكَ الله ما رقصَتْ قُضْبُ الرياض وغرَّد القُمرى
وعلى أُهَيْلِكُمُ وصَحْبكمُ وخصوصاً المولى أبا بكر
صلَّى عليكَ الله ما رَقَمَتْ أَيْدى الغَمام مَطارفَ الزَّهْرِ
صلَّى عليْكَ الله ما نسجَتْ كفُّ النسائِم لاَمةَ النَّهْر
صلَّى عليْكَ الله ما عبقَتْ بأَريج ذكْرك روضةُ الذِّكر
صلَّى عليْكَ الله ما زهَرَتْ بحلَى عُلاَكَ حدائقُ الشِّعر

وقال يمدح الشيخ أحمد ابن الحاج سنة ١٠٩٣ :

لِيَ الله كم قلبي يذوبُ من الذكرى وكم كبدى تُفرى وكم عبرتى تُذْرى
حَنِينى لمن قد شطَّ عنى مَزارُهم أتاح لِيَ الأَحزانَ من حيثُ لا يُدرى
فيا دارَنا الغرَّا على الرَّبوة الخضرا لدَى الصَّدفَيْن المشرفَيْن على الحمرا
سَقَاكِ رذَاذُ الغيثِ من بعْد وَبْلِه وزَادكِ إلمامُ الصَّبا بَهجةً أُخرى
وحيَّتْكِ أَنفاسُ الأَزاهر مَوْهِناً ونَمَّتْ لكِ الأَرواحُ من طيها نَشرا
ذكرتُ بمغناكِ الكريم مَعاهِدًا مُنضَّرةً أَذْكَتْ لَظى كَبدِي الحرَّى
ليالِيَ خِدنى كلُّ يَمْئُودَ[1] أَغْيدٍ تجلَّى على أَطْواقِه وَجْهُه بَدرا
يَبيت يُعاطِينى سُلافَ رَحِيقِه فأَكرِم به بدرًا وأَعظِمْ به خَمْرا
إذِ الدَّهرُ دَهْرٌ والزَّمانُ مُساعِدٌ ونَوْرُ الصِّبَا غَضٌّ سقَاه الحيا نَوْرا
ولله ليلٌ فى رباكِ سهِرتُه على ضِفَّتَى نهر بشِنِّيل قد أَزرى
كساهُ ضياءُ البدر لاَمَةَ فِضَّة وفتَّ ذُبالُ الشمع فى متْنِه تِبْرا
فشَبَّه به نهر المجرَّة حَلَّهُ عُطاردُ والجوزاءُ والقطبُ والشِّعرى
أَدَرْنا عليه الراحَ راحَ مَسَرَّة وقد مدَّ جيْشُ الليل أَلويةً سمْرا

(١) اليمئود الغض الناعم يوصف به الغصن والجارية .

وأرخى على ضوءِ النهار سُتُورَه ... وباتَتْ نجومُ الأُفْق تَزْجُره زَجْرا
كأَنَّ الدَّرارى الشُّهْبَ فى كَبِد السما ... قَواريرُ بَلُّورٍ على لُجَّة خَضْرا
كأَنَّ سُهَيْلًا إذ تأَلَّق مُفْــردًا ... صريعُ هوى قد نال من حِبِّه هَجْرا
يُريدُ الثُّريَّا والبِعَــادُ يَعُوقُــه ... وهَيْهَاتَ ! أَمَّا الصَّبرُ عنها فلا صبرا
وقد رقَّت الشِّعرى العَبُورُ لحالِه ... وحنَّتْ لَهُ كيما تشدَّ له أَزْرا
وقد عبَرتْ نهرَ المجرَّة نحوَه ... ولم تستطعْ عبْرًا شقيقتُها الأُخرى
لذلك ما تُولى أَنينــاً وزَفْــرةً ... وتُرْسِلُ من أَجْفَانِها عَبْرة عَبْرى
تُريدُ أَخَاها إذ أَضرَّ به النَّوى ... وقد عاقَها العَيُّوقُ عن قَصْدها قَسْرا
كأَنَّ ضياءَ البدر والشُّهبُ حَولَه ... سنَا شَيْخنا ابن الحاج فى حَلْقَة الإِقْرا
يكادُ يُريبُ الجاهِلين شُعاعُه ... إذا لَمَحُو أَنْوارَه فى الدُّجا تَتْرا
يقُولُون جهلاً إذ أَضاءَ معالِماً ... أَبدرٌ بدا أَمْ بارقٌ قد سَرى مَسْرى؟
بلى ! إِنَّه نورُ الهدى لاح فى الدُّجى ... دُجى الوَهْم فانزاحَتْ دياجيرُه تُتْرى
فيا وَهْمُ ما أَدْجاكَ فى أَعْيُن الوَرى ... ويا نورُ ما أَجْلى سُطُوعَك إذ أَوْرى!
تجلَّت به حُورُ العلوم عرائِساً ... فشاهَدَها مَنْ كان لا يُبصِرُ البَدْرا
إمامٌ حباه اللهُ حلماً وسُؤْدَدًا ... وخولَّه علماً وأَعظِمْ به فَخْرا
إذا استَصعَبَتْ غُرُّ المعانى لمعشَر ... وقد وَجَمُوا قالت طلاقَتُه بُشْرى
وروَّضَها حتَّى تَذلَّلَ صَعْبُها ... وخاطبَها سِرًّا فدانَت له جَهْرا

* * *

بعيشك أَنصِتْ لى فقد برَّ حَ الجَوى ... بقَلبى وأَذْكى الوجدُ فى كَبدى جَمْرا
أَعندَكَ أَنِّى قد بُلِيتُ بمعشَر ... يَوُدُّونَنى جهْرًا ويُوذُونَنى سِرًّا
على أَنَّنى لا دَرَّ للهِ دَرُّهُم ... أَبَحْتُهمُ منى الأَضالعَ والصَّدرا
يُودُّون إخفائى وهيْهاتَ إِنَّما ... أَنا الكوكب الوهَّاجُ فى اللَّيلة الغرَّا

فلولا سماءُ العلم تهوى نجومها لأَوليْتُهم من مِقْولى البطشة الكبرى
وجنَّدتُ من فِكْرى إليهم كتائبًا توزُّهم أزًّا وتنظُرُهم شَزْرا
وتُصميهمُ حيث استقلُّوا سِهامُها فلا يَجدُون الدَّهر فى حَرْبها نَصرا
ولكن أَبتْ لى همَّةٌ أَدَبيَّةٌ سَمتْ للعلا لا تَرتضى أَبدًا غَدْرا

* * *

وهاكَ عروساً من بُنيَّات خاطِرى تُطاولُ خَودًا أُلبسَتْ حُللاً حمرا
شريفةَ قدْر لم أَجد كفُؤًا لَها سواكَ ـ أَبا العبَّاس ـ فاهنأْ بها بكْرا
رَشُوفاً أَنُوفاً عذْبةَ القول غَادةً مُعطَّرَة أَرجُو القَبول لها مَهْرا
فلا تنتَقِدْها بالمـلامِ فإنَّنى أُحَمِّلُها بيتاً يكون لها عُذْرًا :
فإنَّ الذى يُهدى إلى مِصقَعٍ شعْرا نظيرُ الذى يُهدى إلى طَيْبةٍ تَمْرا

وقال يمدح الشيخ عمر بن محمد المانجلاتى بالجزائر عام ١٠٩٤ :

حَىَّ على الأُنس إنْ طيفُ الهموم سَرى وسَلِّ نفْسَك وانهَجْ نَهْجَ مَن صبَرا
ولا تُصخْ لِدَواعى البَثِّ إن صدَحتْ إنَّ دَوَاعِيَه تَستَجلِبُ الضَّررا
واذكُر معَاهِد قد راقَتْ نَضـارتُها فإنَّ فى ذكرها أُنساً ومُعتَبَرا
لله منها أُصَيْلانٌ جَنَيتُ بها فى رَوْضَةِ اللَّهو من نَخْل المُنى ثَمرا
إذِ الأَحبَّةُ يعدُو عن وصَالِهمُ بُعْدٌ يُؤَجِجُ فى أَحشَائِنا سَقَرا
حيث ائْتلفْنَا ولا واشٍ ينمُّ بمَا نِلْنَا عَدا الأَعطرَيْن الوردَ والزَّهَرا
ولا رقيبَ على الأَفراح يحسدُنا دانٍ خلا النَّيريْن الشَّمْس والقَمَرا
وزَهوُنا بتلاقِينا وأُلفتِنَـا أَغْرى بنا الأَعجَمَيْن الطيرَ والوترا
فصاح ذاك على أَفْنَان دَوْحتِه : حىَّ على الأُنس إنْ طَيْفُ الهموم سرى
وبثَّ ذا ببَنَان اللَّذ يحرِّكُه خُذْ ما صفا لك وانبذ كل ما كدَرَا
والبحرُ مثلُ مُذَاب التِّبر حاك به كَفُّ النَّسيم دُرُوعاً حُسنُها سحرا

والوُرقُ تَسقُط في أمواجه دُرَرًا — كما سقَطتْ على بحر العُلا (عُمرا)
حَبْر الجزائر والدنيا برُمَّتِها — مَن عالَج العِلم حتَّى ذَاع وانتشَرا
بَدرِ الجلال ومِصباحِ الكمال ومِقْ — باس الجمال الذى كُلُّ الورى بَهَرا
شيخ أَحاطَ بأَنْواع المديح فما — أبقَى لِمَن بَعْده شيئاً ولا وَذَرا
إن تَنْمِ أَهلَ العُلا إلى محاسِنه — تجدْ جميعهمُ من بَحْره نَهرا
ذو همَّة شُغِفَتْ بالمجد عاليةٍ — حُمَّ بها أَحدُ النَّسْرَيْن فانكَدَرا[1]
إلى شَمائِل أَزرتْ بالنَّسيم ضُحى — وخُلُق كالخلُوقِ قد هفَا سَحَرا
مَن يُبلغُ الأَهل أَنِّى بعد بَيْنهمُ — جالستُ بدرَ هُدًى بالشَّمس مُعتَجِرا
وقد ظفِرتُ بما قد كنتُ آمُلُه — لمَّا قضتْ مُنيَتى من نُوره وطَرا
حتَّى لقد خِلْتُ آمالى قَوائِلَ لِى : — قَدْكَ : ابن زاكور هذاالبحر فاقْتصرا
مَن ذا يُطاولُنى والمجدُ صَافحَنى — والبدرُ أَقبَسنى والعِلمُ لى سَفرا
قد كنتُ قِدْماً أَرى خَطبَ النَّوى ضررًا — فاليومَ حين اكتَسبتُ المجدَ لا ضَرَرَا
ما أَحسن البَيْن إذ كانَت إساءَتُه — تُفضى إلى مِثْلِ مصباح الدُّجا عمرا)
بَقية السَّلف الماضى ونُخبتِـــه — لكن محاسِنُه أَزْرتْ بمَن غَبَرا
قاضى القُضاة الذى لاشىء يَعْدِلُه — فى عَدْله اللَّذْ فشَا فى النَّاس واشتَهَرا
بَحر العلوم التى قد غاضَ مَنْهلُها — مُنذُ زمان وسَيلُ الجهل فيه جرى
بدر الجزائر صَانَ اللهُ بهْجَته — عن أَن يُرى بخُسُوف البَدْر مُستَتِرا
وبحرها العذبُ لا زالت جَداولُه — تُروِّضُ العالَمَيْن البَدْوَ والحَضَرا

وقال يمدح الشيخ على بركة بتطوان سنة ١٠٩٣ :

إلى مَ فُؤَادى يذوبُ زفيرا ؟ — لقد كدت أَقْضى مُعنًّى حَسِيرا
عَرانِى مِن الوجْد ما قد نَفى — كراىَ وأَذْكى حشاىَ سَعِيرا

(١) انكدرت النجوم تناثرت .

فمن رقَّة قد حكَيتُ نَسيماً ومن دَنَف قد حكيتُ نَضيرا

وشيَّبنى والشبابُ نَضير صُدودُ الأُلى أودَعُونى زَفيرا

ومَن لَسَعَتْه أفاعى الصُّدود فاجْدرْ به أن يَشيب صغيرا

فماذَا على وَدِّهم لودَنَا ؟ وما ضرَّ لو نعَشُونى يَسيرا ؟

ومـــاذا على عاذلى لَوْ غدا عذيرًا لمن كان مِثْلى أسِيرا ؟

فيا عاذِلى لا تَكُن عاذرى ! ولستُ أُؤَمِّل مِنْك عذِيرا

ويَا هَاجرى لا تَكُن وَاصلى إلى أن تُوازى الحصاةُ ثَبيرا

فَمُذْ شِمتُ بَرقَ العُلا والهُدى لَدَى (بركاتِ العلا) مُستطيرا

سلوتُك فانْجاب ليلُ الأَسى وأسْفَر صُبْحُ السُّرور بَشيرا

فلا مُقلتى تسْتَهِلُّ دمــاً ولا كَبِدِى تَتداعى فُطورا

ومَن شَامَ بَرقَ العلا مُسْتَطِيرا فلا يَعْدِمَنَّ دَدًا وحبُورا

وهَانَ علىَّ الذى قد لَقِيـ ـتُ لمَّا سقَانى نداه نَمِيرا

وأنْقَذَنى مِن ظَلام الهَوَى وكان لِقَلبى المُعنَّى مُجيرا

إمامٌ تسَربَل بالمَكْرُمــات وأَرْخَى إزَار العفاف كبيرا

وطاوَلَ بدرَ السَّماءِ مُنِيرا وسَاجَــل قَطْرَ الغَمام غَزيرا

وأَضْحى لِكأْسِ المعالى مُدِيرا وأَمْسَى لِرَوْض العُلوم سَمِيرا

تَواضَع حِلْماً فزَاد ارتِقاءً ورام خَفاءً فزَادَ ظُهــورا

ومَن رَامَ إخفاءَ بَدر الدَّياجى بجُنح دُجًى زَاد نُورًا كَثيرا

تَناهَتْ مــذاهبُه فى العُلا فليْس يُرى لِسِواها ظَهيرا

فُطورًا تَراهُ لِقَوم بشيرًا وطَوْرًا تَراهُ لقوم نَذِيرا

وكَائِن تراه يفُكُّ المُعمَّى ويُوضِحُ ما كان صَعْباً عَسِيرا

إلى رقَّة لَوْ حواها النَّسِيم لما قصفَ الدَّهرَ غُصناً نَضيرا

ونَظمٍ يُنَسِّيكَ شِعْر (جَرير) إذَا أَنتَ عاينْتَ منه سُطورا
وَوَجْهٍ جلاَ البِشْرُ عنه الوُجُومَ فليس يُرى أَبدًا قَمْطَرِيرا
تُضِيءُ الدَّيَاجير غُرَّتُه فتَحْسِبُها قَبَساً مُستنيرا

* * *

أَلا هل أَتَى مَعْشَرى أَنَّنى عَلِقْتُ بتطوانَ عِلْقاً خَطيرا
وآوَيْتُ منها إلى جنَّــةٍ فلا شَمسَ فيها ولا زَمْهَرِيرا
لَدَى عالِمٍ قد حوَى عالَماً وحَبْرٍ تضمَّنَ خَلْقاً كَثِيرًا
وأَلحفَها من محــاسِنه بُرودًا حكَتْ سُندُساً وحَرِيرا
وأَسرَجَها بسِراج الهُدى وكم مَكَثَتْ قَبلُ تحكى قُبورا
فلا نَجدَ إلاَّ اسْتَطار سنى ولا غَــوْرَ إلاَّ تلالأَ نُورا
ولا غُصْن إلاَّ تثنَّى ارتياحاً ولا طيْر إلا تَغَنَّى سُرُورا
أَضَاءَ سناها وَضَــاعَ شذاها فَشِمتُ سنًى وشمِمت عَبيرا
إمامَ الورى بشفيع الــورى أَصِخ لِنظامى وكُن لى عَذيرا
وأَسبل عليه بُرودَ القَبُول فلستُ (حبيباً) ولستُ (جريرا)
وهبْنى كذاك فمَن لى بمَا أُحَلِّى به مَجْدَكَ المُستَنِيرا ؟
ومَن أَرْهَقَتْه خُطوبُ الدُّنا فكيفَ يَحُوكُ القَرِيضَ النَّضيرا؟
فعُذْرًا لمن خَانَه دَهْــرُه وأَخْنَى عليه الزَّمانُ مُغِيرا
ودُونَك منِّى سَلاَماً كريماً يُفارِحُ عرفُه رَوضاً مَطيرا

وقال موشَّحاً مَوْلديًّا عارضَ به مُوشَّح ابن سهل (ليل الهوى يقظان)

يا لَيلةَ الميــلاد ما كَانَ أَحلَى سَمرك
شَفَيتِ ذا أَنْكاد باتَ يشِيمُ غُررك
فالله بالأَسعـــاد بين اللَّيالى نضَّرَك

أسرَجها الرحمان بنُور شمس البَشر
من هو فى الإنسان يا قُوتَةٌ مِن حَجر
بمُوضِح اللَّبْس بذى اللِّوا والقَضيب
بمُبعد النَّحْس عَن غُرَّة الدِّين العجيب
بطيب النَّفس مَن خُصَّ بالحُسْن الغريب
مكَحَّل الأَجفان بالدَّعج والحَوَر
مفَلَّج الأَسْنان يَبسِمُ عن كالدُّرَر
نَبيِّنا المَنسوب إلى ذَوى الجاه الخَلُوب
المصطفى المحبُوب مَن حبُّه يمحُو الذُّنُوب
منَوَّر الأُسلُوب مُنبَّأً عن الغُيُوب
فأَعْظمُ البُرهان على سنَاه الأَبْهر
أَنْ جاءَ بالقُرآن يُفْحِمُ كُلَّ مُجترى
لم يقْوَ ذُو قوَّه على الكلام المُشرقِ
ممَّن له قَسْوَه مِن شاعرٍ ذى مَنطِق
أَن يحتذى حَذْوَه معارضاً فى النَّسَق
قدْ صانه المنَّان من خدْش كلِّ ممْتَر
أَيمتَرى إنْسَان فى أَنَّه مِن بَشر
يكفيكَ فى مجده يَا مَن له أُذْنٌ وعَيْن
وحارَ فى قصده أَن فاض مِن يُمناه عيْن
روَتْ ذَوى جُنده وَمَا حَوى يَوْم (حُنَيْن)
لمَّا التَقَى الجمعَان ومَرَّ كلُّ مدبرِ
مِن هزْم ذى الأَوثان بقَبضةٍ من حَجَر

يا عِلْق أَعْلاقِ ياخيْر مَن خصَّ وعَم
ذُبتُ بأَشْواقِ إلى ضَريحك الأَشم
وقَيْـدُ إمْلاقِ أَلبَسَنى بردَ سقَم
يرجوك ذُو الأَشْجان فى الفَوْز يوم المَحْشر
مُشيِّب الـوِلْدَان بهَوْلِـه المُسْتَنكَر
قَدِّرْ رَسُولَ الله لِذَا المُعَنَّى فَرَجَا
صلَّى عليكَ الله ما لاَح نجمٌ فى دُجَا
وما شَدَا مَنْ تَاه فى ليل هجرانٍ سَجَا :
(ليلُ الهوى يَقظَان والحُبُّ تِرْبُ السَّهَر
والصَّبرُ لى خوَّان والنومُ عن عَيْنى بَرى)

وقال فى اللَّجأ والاضطرار إلى الله تعالى :

تعزَّزتُ بذى العِزِّ من الشَّيطان ذى الأَزِّ(١)
وممَّا ينسُبَن فِكْرى إلى الشَّخْزِ(٢) أَو الأَزِّ(٣)
ومن شرِّ الذى قد بزَّ مَكْرًا نُهْيَـةَ البَرْزِ(٤)
ومن قول بلا فعـل وفعل ربَّه يُخزى
ومن فقر أَخى ذُل ومن بُخْل ومن عَجْز
وما بالشرِّ قد يَقْضى وما بالذلِّ قد يَجْزى
وممَّا يقتضِى طَرْدى عن التَّوْفيق أَو بَهْزى(٥)

---

(١) الإغراء على المعاصى .
(٢ و ٣) الاضطراب .
(٤) الرجل العاقل .
(٥) البهز : الدفع العنيف .

وممّن يشتهى ضرّى ... وممّن وُدُّه جأزى[١]
وذى همْزٍ وذى لَمْزٍ ... وذى غمْزٍ وذى طَنْزِ[٢]
وذى نَهْزٍ وذى نَكْزٍ[٣] ... وذى وكْزٍ[٤] وذى وَخْزِ[٥]
وذى نَبْزٍ وذى نَخْزٍ[٦] ... وذى نَفْزٍ[٧] وذى نَغْزِ[٨]
وذى ضَكْزٍ[٩] وذى مَرْزٍ[١٠] ... ورِزٍّ[١١] مُفْزِعِ الرِّزِّ
وذى لَخْزٍ على بَزِّى[١٢] ... من الملبوس من عزّ
من العُرب أو العُجم ... أو التُّرك أو الغُزِّ
ومن فَدْمٍ أخى لُؤْمٍ ... ومن نزٍّ أخى[١٣] وَفْزِ
وذى جَرْحٍ بلا رُمْحٍ ... وذى حَزٍّ بلا لَخْزِ[١٤]
وذى بَزٍّ يَبُزُّ البَزَّ ... عند البَزِّ بالبَزِّ[١٥]
ومن سَيْرٍ إلى عَيْرٍ[١٦] ... ومن جَمْزٍ إلى جِبْزِ[١٧]
ومن مَنْعِى من النَّفْعِ ... ومن حَجرى ومن حجزى

---

(١) الجأز : الغصص فى الصدر .
(٢) الطنز : السخرية .
(٣) طعن .
(٤) ضرب بجمع الكف .
(٥) الوخز : الطعن بالرمح وغيره .
(٦) نخس ودفع .
(٧) ضرب بالرجل أو بالعصا .
(٨) الإفساد بين المتحابين .
(٩) الغمز الشديد .
(١٠) القرص الخفيف والعيب والضرب باليد .
(١١) الرز : الصوت .
(١٢) اللخز : الإلحاح والبز : النزع .
(١٣) النز : الطياش والوفز : العجلة .
(١٤) الحز : القطع واللخز : السكين المحددة .
(١٥) البز : الغلبة والنزع والمتاع وأخذ الشيء بجفاء وقهر والسلاح ، وهى على هذا الترتيب فى البيت .
(١٦) العير : الحمار وهو هنا كناية .
(١٧) الجمز : نوع من العدو والجبز : اللئيم .

ومن كَزٍّ أخى لَزٍّ(١) ومن فَـزٍّ أخى قَزٍّ(٢)
قَسا قلبى من الذَّنْب الذى يُربى على الرِّزِّ
حنَـانَيْك أمولانا أربى سَامعَ الركزِ(٣)
لأضْنــانى وأَرْدانى سِنَانُ الغم بالرَّكْزِ(٤)
فكُن لى سيدى عَوْناً على الشيطان ذى الهَمْزِ
وكُن حِصْنى وكُن حِرْزى وكُن مالِى وكُن كَنْزِى
بشمْس الرسل وبْل الفَضْل م رُكْن العِز والعَـزِّ(٥)
رسُـول الله سيف الله م مَن أَفْنى ذوى الرِّجْزِ
صلاة ثمَّ تَسْلِيمٌ عليـه رائقًا الطَّرْزِ

وقال يمدح أبا على اليوسى :

ما لِلأَحبَّة أَسْيافَ الجفا اخترطُوا أَيْنَ العُهودُ وما فى الحُبِّ قد رَبطُوا
سلُّوا على اضْلُعى مخْراط هجرهمْ إذْ أَبْعَدُونى وأَغصان المُنى خَرطُوا
أَفديهمُ ولَظَى الأَحشاءِ موقدةٌ مِن هَجرهم عدلُوا فى ذاك أَو قَسطُوا
لونَفْحةٌ من شذا اليُوسى تشَفَعُ لى إلى رِضاهُم رَضُوا عنِّى وإِن سَخطُوا
بل فى رِضاهُ رضاهم وهو ما شهدَتْ به الهُدى والنَّدا والخُلُق السَّبِط
ونُصرةُ الدِّين والأَعلامُ طامِسَةٌ مِنْه وأَمْرُ الجَوى من أَمره فُرُطُ
وأَرْبُعُ العلم لم يلْفَ بمَنْهَلِها مِن الأَفاضل لا سَاقٍ ولا فَرَطُ
من عنْده لضياءِ الرُّشْد مقْتَبسٌ ولجياد التُّقَى والصَّبر مرْتَبطُ

(١) الكز : الشحيح واللز : الطعن .
(٢) الفز : الرجل الخفيف والقز : ما يتقزز منه .
(٣) الصوت الخفى .
(٤) الركز مصدر ركز الرمح بمعنى غرزه .
(٥) العز بالفتح المطر الشديد وهو هنا كناية .

ولأزاهر نَشْر الحِلْم مقتطفٌ ولجواهر سِمْط العِلم ملْتَقَطُ
دامتْ لنا ولدينِ الله غُرَّته فالدِّين لَولاكَ لَمْ يُنقَشْ له نمطُ

وقال فى مدح المولى إدريس بن إدريس بانى مدينة فاس :

كم ذا تُقَرطِسُنى بسُمْر نبالِها سُودُ الخُطوبِ وتعْتَدى بشِمالِها
هذا على أنّى لَجأْتُ إلى حِمَى من قد حمَى من كان عُرضَ نصالِها
مولاى إدريس بن إدريس بْنِ مَن ذَلَّتْ له الآسادُ فى أغْيَالِها
(عبد الإله الكَامِل) بن المُرتَضَى (حسَن المُثَنَّى) ذى اللُّها بذَّالها
نَجْل الذى حازَ المفَاخِر كُلَّها (حسَنِ) البَتُول أخى العُلا وهلالها
سبْط الرَّسُول الهاشِمِىِّ مُحمَّــدٍ خيْر الورَى المُختَار مِن أَقْيالِها
صلَّى عليهِ اللهُ ما صَابَ الحيا واهْتَاجت الأرواحُ فى آصَالِها
وعلى جميع الآلِ والأصحاب مَن سلكُوا الهُدى وتوقَّلُوا بجِبَالِها

* * *

مَوْلاىَ يا نجلَ الأُلى شادُوا العُلا وعَدوْا على الأَبطال يومَ نِزالِها
خَلِّص جُوَيْرَكَ مِن حُبُول(١) أولَغَت فيه المُدَى فَغَدا حَلِيفَ قِتَالِها
فلقَد تـأكَّدَ بل تعَيَّن سَيِّدى أن تُنقِذَ المَأْسُورَ مِن أغْلالِها
عَهْدى بمَن آوَى إليكَ تُجيرُه من كُلِّ ما يَخْشَاهُ مِن أهوالِها
ما بالُ مَن أمسى نَزيلَ مقامِكم مَدَّتْ له الأَهْوالُ سُودَ حبالِها
إن ساءَ مِنه الفِعلُ قِدْماً فالأُلى سادُوا وجَادوا . العَفْوُ عِلْقُ خِصالِها
من ذَا الذى ما ساءَ قطُّ من الورَى لا سِيَّما مَن كان مثْلى وَالها
يا ملْجأَ الملْهُوف وَالمكروب يَا غوْثَ الضَّريك(٢) من العدا وَوَبالها

(١) جمع حبل بالكسر وهى الداهية .
(٢) الفقير والزمن والضرير .

عجِّل بما أَمَّلتُه من رفدِكم ... ياكَعْبَةَ الأُمــال فى آمالِها

أَتُجيدُ آمالى فيك لَدَى الظَّما ... نَهْر المُنَى قَدْ فاضَ مِنْ سَلْسَالها

ما ضرَّ لَوْ رَوَّيْتَ غُل فُؤادها ... من فَيضِه وأَرَحتَنى من حالها

غيرى يعُبُّ بصَفْو أَفْلاَجِ المُنَى ... من رفدكم وأنا أَغصُّ بحالها(١)

ذى قسْمة ضيزَى وحاش جلالكم ... أن تغبُنُوا مملُوكَكُم بمثالها

قد كان أَجدرَ بالمنى لمَّا دَنَا ... ممَّن نأَى وبرشْف ثغر مَنَالها

بأَبيك وَهْى وَسيلةٌ لا يُمْتَرى ... بِقَبُولها أَعْظِم بغُرٍّ رِجالها

وبمَن مضَى من ماجدٍ أَوْ زَاهدٍ ... أَوْ مشكلِ الهَيجاءِ فى أَبطالها

من كُل أَبلجَ فاضل غَمْر النَّدى ... نجمِ الهُدى سمٍّ العِدا وثُمَالها(٢)

سامى الذُّرَى مُشْرى القِرى لَيث الشَّرى ... كهْف الوَرَى ممَّا عرَا وثِمَالها(٣)

لا تأْخذَنِّى بالذى أَسلَفْتُه ... زمن الصِّبا من غيِّها وضلالها

فلقد بخست بها حقُوق جواركم ... وعدلتُ عن سبل التُّقى وظلالها

وركَضت أَفراس البطالة لا هياً ... ما بين أَزهار الهوى وصلالها

والآن ياقُطْبَ الورى أَعريتُها ... وبذلتُ جهد الجد فى إهمالها

وهدمتُ ما شَيّدتُ أَيام الصِّبا ... فى مطمح الآثام أَو أَصلالها

وهجرتُ سُعدَى والرَّباب وعــزَّةً ... وردعتُ نفسى عن قبيح جدالها

وتشوَّقت نفسى إلى تمر التُّقَى ... وعدلتُ عن مُقل(٤) الهوى وجدالِها

حقِّق إذًا أَملى وأَنجح حاجتى ... يا مُنْجزَ الحاجات قبل سُؤالها

واحفَظ (أَبى) فى غيبةٍ شطَّتْ به ... واكَلأْهُ من غُول النَّوى وخبالها

---

(١) الطين الأسود .

(٢) السم المنقع .

(٣) غياثها .

(٤) المقل : ثمر شجر الدوم ، والجدال جمع جدالة وهى البلح إذا أخضر واستدار قبل أن يشتد .

إكنُفه حيثُ ثوَى وعجل أَوبةً وامنَحْه من فيض الغنى بسجالها
واشفَع لنا يومَ القيامة علَّنا نغدو من النَّاجين من أهوالها
يا فرعَ أَصل قد سما فوق السما وابن الأُلى مُنِحوا النهى بكمالِها
وعلى مقامِكمُ العلىّ تحيَّتى ما ردَّدت ورقاءُ فى أَزجالها
أَذْكى من النُّوار أَرَّجه الحيا وأَتت به الأَرواحُ فى أَذيالِها
ثمّ الصلاة على النبىِّ المصطفى خير البريَّة شمسها وهـلالها
والآلِ والأَصحاب ما هبَّت صبا وتهدَّلت قضبُ الرُّبا بشمالها

وقال وقد تعذَّر عليه المسير من حضرة الشيخ اليوسى بعدَ وِدَاعه :

سلام مُخْجِلٌ عـرفَ الغوالى على (حسن) المناقب والخِلالِ
أَمير العارفين (أَبى على) منار الرُّشـدِ نبراس الجلالِ
رجالُ الوقت يا مولاى منكم بمنزلة العيـال من الرجالِ
أَلاَ إنَّ (ابن زاكور) دهاهُ فراقُ ذُراكمُ مغنى المعـالى
وبعْدُ إثر قرب هاجَ وجدى فما أَشجى النَّوى عقب الوصال !
تعفَّن من وداعك خلطُ صبرى فَحُمَّ البالُ من فرط الخبالِ
فأَعوزنى المسيرُ غداةَ يومى رجـاءَ البرءِ منك من اعتِلالِ
وفى غدنا أَسيرُ بـلا وداعٍ فرارًا مـن ثُماله يا ثِمالى
(ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيارَ مع الليالى)
عليكَ قضيـة الإحسان تُتلى إلى يوم انفصالٍ باتِّصال

وقال يمدح أَبا عبد الله القُسَمْطينى سنة ١٠٩٣ :

مظنَّةُ إتلاف المُحبِّ العواذلُ ألا لاَ رعى الرَّحمانُ من هو عاذِلُ

يريشون للمضنى نبالَ ملامهم فيقضى أَسًى واللَّومُ فى الحب قاتلُ
يظنُّون أَنَّ اللَّوم يُجدى وما دَرَوا بأَنَّ ملامَ الصبِّ لِلْحَينِ آئِلُ
أَعاذِلَتِى والعذلُ ليس يهولُنِى وأَنّى يهول العَذلُ من هو هائلُ !
دَعينِى وتَهْيامِى فَلَسْتُ ببَارِحٍ أُطَاوِلُ فى مِضْمارِه وأُسَاجِلُ
تَوغَّلتُ أَنجادَ الصَّبابة بالصِّبا وخُضْتُ بحَارَ الحُبِّ وهْى حوافِلُ
وجِئْتُ فتَاةَ الحَىِّ والحىُّ آهِلٌ ولاَ حاجِزٌ إلاَّ الظُّبَا والذَّوابلُ
فأَحْرزتُ خَصْلَ السَّبْق وحدى ولم أَدَعْ لرَاكبٍ أَفْرَاس الهَوَى ما يحاوِلُ
برُوحِى مَن رُوحِى لَدَيْهم مقيمَةٌ وإِنْ بعُدَتْ مِنِّى الذرَّى والمَنَازِلُ
أُولَئِك أَحْبَابِى الأُلَى صحَّ ودُّهم سقَى عَهْدَهم عهْدٌ من المُزْنِ هاطِلُ
لقَدْ حالَ ما بيْنِى وبيْن ذُراهُمُ سباسبُ تَعْيَى فى مَداها الرَّواحلُ
إِكامٌ وأَنْهارٌ طَغَتْ ومهامِهٌ قِفَارٌ وأَنْجَادٌ عَلَتْ ومجاهِلُ

* * *

أَلا ليتَ شِعْرى هل تَقرَّر عندَهُمُ هُيامى وأَنِّى من لَظَى الشوق ذَاهِلُ
فَيَا مُزْمِعَ التَّرحالِ أَبْلِغْ تَحِيَّتِى إِليهم وحَدِّثْهُم بما أَنا فاعِلُ
ويَا نَفَس الأَسْحارِ هُبَّ عليهمُ وطارِحْهُمُ شوْقِى الذى أَنا حامِلُ
ويَادِيمَةَ الوسْمِىِّ حىِّ ثَراهُمُ وبُثِّى لَهُم أَنِّى من البَثِّ قاحلُ
ويَا نَفْحةَ الخَيرِىِّ عُوجِى بدورِهم ونُثِّى لهم أَنِّى بَرتْنِى البَلابلُ
عسَاهُمْ إِذَا طارَحْتُهم ببلابلى تُطارِحُهم عَهْدَ الوِصال بَلابلُ
لَئنْ شَطَّ ما بَينِى وبين أَحِبَّتِى فإِنِّى على عهد الودَاد لخَائِلُ
أَحِنُّ لهم أَو يُغْمِدَ القَبْرُ مُرهَفاً وأَصبُو لهم أَو يَنْحت الطَّوْدَ صائِلُ
عَلَيهم سلامُ اللهِ ما هامَ عاشِقٌ وما حَلَّ مشْتاقٌ وما اهْتَاجَ زاجِلُ
فلا مُدْنِفٌ إِلاَّ الذى شَفَّهُ النَّوَى فقلبُه خفَّـــاقٌ ودَمْعُـــه هَامِلُ

ولا عُمُرٌ إلاَّ الصِّبَا وعقيبُهُ ولا زَمَنٌ إلاّ الضُّحى والأَصَائِلُ
ولا هِمَمٌ إنْ لَمْ تكُن أدبيَّةً ولامُنْجِدٌ إلاَّ القَنَا والقَنابلُ
ولا نَسَبٌ إلاَّ السَّماحةُ والتُّقى ولا حسبٌ إلاَّ الحيا والشمائِلُ
وما الناس إلاَّ العالمون ذَوُو العُلا نُجومُ الهُدى إذْ هم سُراةٌ أفاضلُ
ولا عَالِمٌ إلاَّ الإمامُ (محمَّد) أَلَمْ تَرَ ما تَلْقَاهُ منه المَسَائِلُ
إمامٌ حَبَاهُ اللهُ كُلَّ فَضِيلة تَبدَّتْ له فى المَكرُمات دلائِلُ
سَمَيدَعُ أَهْل العصر أَرْوَعُ ماجدٌ هِلالُ المعالى أَرْيَحىٌّ حُلاحِلُ
حَوَى فى قلوب الأَذكياءِ مَنَازِلاً على أنه فوقَ السِّماكَين نَازِلُ
وطاوَلَ أعلامَ الزَّمان ففَاقَهم ولا يَبْلغُ العَلْيَاءَ مَن لا يُطاوِلُ
فأَصْبَح فى أَوْج المفاخِر راقِياً وأَمْسَتْ ضُروبُ الدَّهر عنه تُناضِلُ

* * *

قضَى اللهُ يا حَبْرَ الزمان وعِلْقَه بأَنَّك حَلْىُ الدهر إذ هو عاطِلُ
وأَنَّك شَمسُ العلمِ والغير كوكبٌ وأَنَّك وقَّادٌ وغيرك آفِلُ
وأَنَّك فى أَهل البلاغة مِصْقَعٌ وأَنَّك سَحْبَانٌ وغيرك بَاقِلُ
قَطَعْتَ بطرف العزم كلَّ تَنُوفَةٍ تكِلُّ بأَدْنَاها الجِيَادُ الصَّواهِلُ
وجُزْتَ بريح العَزْم بَحراً غَطَمطَماً فَجزْتَ بحاراً ما لَهُنَّ سواحِلُ
وعابر بحْرَىْ لجَّة ومحجَّةٍ جَدِيرٌ بأَن تُحدَى إليه الفضائِلُ
فأَصْبَحتَ فى الدنيا وأَنتَ سِراجُها وأَضحَتْ بكَ الآمالُ وهَىَ مَناهِلُ
فأَعْلمتَ أَغْفَالَ العلوم وحُزْتَها وأَنعشتَ بالإِقراءِ ما هو خامِلُ
فلا زِلْتَ فى وَجْه السِّيادة غُرَّةً ولا بَرِحَتْ تُطوى إليك المراحِلُ
ودُمتَ دوامَ الدهرِ غير مُكَدَّر ونُورك وضَّاحٌ وحدُّك فاصِلُ
أَتَتك على رغم اللِّئام خَريدة لها النَّظْمُ دُرٌّ والقوافى خلاخِلُ

بَرَهْرَهَةٌ رقْراقَةٌ عذبَةَ اللَّمى ثَوَتْ بقُصور الغرب والأَصلُ بابلُ
هَدية من يَفْدِيكَ مِن كُلّ حادثٍ وفيها على صِدْقِ الودادِ دَلائِلُ
عليكَ سلامُ الله ما لاح بارِقٌ وما صابَ هطَّالٌ وما سَحَّ وابلُ
أَنَمٌّ من النُّوار يصقُله الحَيَا يُبارِى شذا الغِيطانِ والليلُ راحِلُ

وقال هذا الموشح فى السلطان :

حُقَّ الهنا والسُّرور مَدَى الدُّهــور بمولــد المُخْتار
المصطفى بَدْر البُدور شَا فى الصُّــدور بالنُّورِ والأَسرار
وبابْنِـه بحر البُحور دُرِّ النُّحــور مُعَفِّــر الأَشْرار
مَن قَدْ حكى يوم الكِفَاح بين الرِّمــاح لَيْثَ الشَّرى فى الغِيل
عين الرشاد والصَّلاح قُطبِ الفَـلاح مولاىَ إسماعيل

* * *

شَمْس الملوك أَجمعين إِذْ لا قَرين وَاسِطــةِ العِقْــد
لَولاَ أَميرُ المُؤْمِنين نُــورٌ مُبيــن فى القُرب والبُعْد
حكَى جميعُ المسلمين فى العَـالَمين كَفًّا بلا زَنْد
إِذْ هُوَ عُنوانُ النَّجــاح بَحرُ السَّماح يَفِيضُ فَيضَ النِّيل
عين الرَّشاد والفلاح قطب الفــلاح مولاىَ إسماعيل

* * *

أَتاك مَوْلِدُ الرسول يا ابْنَ البَتــول فاصْطَفَدْ به الأَفراح
فى قَصْرك الذى يَهُول كُلَّ العُقُــول بحُسْنِه الوَضَّاح
فالْبَس به بُرْدَ القَبول يَا كُلَّ سُولْ يارحمــةَ الفتَّاح
فَلَوْ حُبِى طَيرُ الصَّباح نُطقاً لَصَــاحْ بأَحْسن التَّرتيل :
عين الرَّشاد والصَّلاح قُطبِ الفَـلاح مولاىَ إسماعيل!

وقال أيضاً مثله :

زَنْدُ سعد أَوْرى والهَنــا جاءَنا سافر
وتَوالتْ بُشْــرى بهُمــام لنا ظَافر
بالذى قدْ أَغْــرى مَوْجَ بَحْرِ النَّدىالوافر
مَلِكُ البريَّــا[1] مَن عِدَاهُ الرَّدَى نالُوا
زاهِــرُ المُحيَّــا ذُو نَوالٍ له بالُ
مَن سناهُ أَغْنَى عن سَنىً نَالَه البَدْرُ
وشَبَــاهُ أَفْنى كُلَّ مَن شأْنه الغدْر
ونَــدَاهُ أَدْنَــى منه مَن داره مِصْرُ
واجِــبُ علَىَّ مدْحُهُ ما بَدَا آلُ
وعــلاَ الثُّرَيَّــا وتَلاَ الصُّبْحَ آصَالُ
مُسْتَطَابٌ مَدْحُــه مُسْتَبين الــكرامات
مُسْتَتِمٌّ نُصْحُــه عمَّ حتَّى الجَمَادَاتِ
لا يزَالُ صُبْحُه مسْتَنِيرَ العَلامــاتِ
جــاءَنَا وَفِيًّــا له فى المَجْد إرْقَالُ
لمْ يَزَلْ غَنِيًّــا عن نُجُوم إذا مالُوا

وقال يمدحُ أبا على اليوسى وقد ورد فاساً سنة ١٠٩٥ :

عن نُورِ هَديكَ ثَغْرُ الدَّهرِمبْتَسِمُ يا واحِدًا وَرَدَتْ من بحْره أُمَمُ
هَشَّتْ لِلُقياكَ فاسٌ إذْ حللْتَ بها وفَاسُ لولا سنَا وُجُودِكم عَدَمُ
فزَهْوُها بكَ يا موْلاىَ منتَظمٌ وأُنسُها بك يا موْلاىَ منتَظِمُ

(١) مستعمل فى البرية ولا يصح .

أَبْهَجْتَ عبدَكَ إذْ وَافَاكَ مكْتَئِبــاً إنَّ الجوى بدُنُوٍّ منك ينْحَسِمُ
وَافَاكَ يطْلُب نهْجَ النَّاصريَّةِ إذْ فى النَّاصريَّة نصرٌ ليس ينصَرمُ
واهاً لَها رغبةً ما كان أَنفَسَهـــا لمثلها تستعِدُّ الأَينُقُ الرُّسُمُ
أَمْهلْتَهُ لِعَـــد فبَاتَ فى سهرٍ يُنجدُه الوجْدُ إذْ أَعْوَزه الحُلُمُ
يخَاطِبُ الليلَ كَىْ تَفْتَرَّ دُهْمتُه عن ثَغْر صُبْح فيَبْدو لِلمُنَى عَلَمُ
يا عَنْبَرِ اللّيل كَافُورَ الصَّباح أَعِدْ قد كاديلحَقُنِى من طُولِكَ الهَرَمُ
إنْ لمْ تَجُدلى بصُبْحٍ صِحْتُ من أَسَف «واحرَّ قلباه مِمَّن قلبُه شَبِمُ»
لا زِلْتَ مِقْبَاس علم يُسْتَضَاءُ به إذا بدتْ ظُلُمَات الجهل تَزْدَحِمُ

وقال يمدح الشيخ ابن الحاج :

ثَغْرُ السيادة قد تبسَّمْ عن هَدْىِ قُدْوَتِنَا المُعظَّمْ
وبحَمْدِهِ عن قصْده طيْرُ السعادة قد تَرنَّم
شمس المفاخر فى الأَواخِ ر ، فيه سائرُ من تقدَّم
فالعلمُ حَشْو بُرودِه والحلمُ رائِدُه المقدَّم
والدِّينُ والتَّوفيقُ من لفظ الثَّناء عليه يُعْلَم
إذْ مدح أَعلام الهُدى لِرُقىِّ دِينِ اللهِ سُلَّم
مَقْفُوُّ أَحمد والهُدَى خِلَّان ذاك بذاك مُغْرم

* * *

أَبَنِيَّةَ الــورَع التى طاف الرشادُ بها وأَحْرم
إن السيادة أَحْرفٌ بعُلاك يا مولاىَ تُعْجَم
ولديْك مدلُولُ الحقـ ائق والرَّقائق حَسبُ يُفْهم
وسَنَاكمُ يهْدى إلى دُرَر المفاخر كيف تُنظم

فاسْلَم لَتنوير الـزَّمـان أَشمس بهجته لِنَسلَم

وقال يمدح الشيخ سعيد العميرى :

هل لذى البُعد من تدانٍ يَدُومُ لا تدانٍ وَدَاعه التَّسلِيمُ
فعَسى ينعشُ الفؤاد ويسلُو أَم يموتُ وحبْلُه مفْصُومُ
حسبُنَا الله ما لنا كلَّ حِينٍ ينعَقُ البَيْنُ بيننـا ويحومُ
حسبىَ الله كم يقَسِّم قلبى ناظِرٌ فاتِرٌ وَوَجْهٌ قسيمُ
صاحبى صاح بى البعاد وأَمستْ بى مطاياهُ ترتمى لا تريمُ
قد أَلِفْتُ النوى وإن عشتُ شيباً فسأَصبو إلى النوى وأَهيمْ
كلَّما امتدَّ بُعدنا وتناءى طابَ بعد المقام والتخيمُ
وبُعيدَ الظما يلذُّ شراب وبإِثر الهجير يُهْوى نسيمُ
لا تسلْ عن حشاىَ ماذا يُعانى إنَّ ربى بأَمـره اعليمُ
قرطسته سِهام وجدٍ وعضَّ تْه أَفاعى الهموم فهو سليمُ
سأَنث حديثَ وجدى وبثِّى لِسَرِىٍّ إذ لا خليلٌ حميمُ
لإمامٍ حوى المفاخر طُرًّا ما حوى مثلها سواه أَريمُ
لهلالِ الهُدى (سعيد) المعالى من به سَعِدَ البيان الوسيمُ
وبه انزاحَ عن صباح معانيـ ـه دُجَى الشُّبُهاتِ فهو قويمُ

* * *

يا إمامَ الزمان أَنت لَعمرى قمرٌ والزمان ليلٌ بهيمُ
بسناكَ اهتدى الغبىُّ لفهم ضلَّ عن مثله الزكىُّ الفهيمُ
وبلفظكُم وهو نثرُ لآلٍ فاخَر الدرسُ وازدهى التعليمُ
ما رأَينا ولا سمعنا كلاماً يُنْعِش الفكر قبله ويسيم

قد لبستُم من السيادة بُرْدًا طرَّزاه الجلال والتعظيمُ
دُمتَ فى رفعة ودهرُك طلقٌ وعليك من العـلى تسليمُ
وإليكمُ حديقةً حاكها الفِكْـ ـر وصابَ عليها ودٌّ صميمُ
أثمرت يانع البديع بأفنـ ـان البيان فضاعَ منها شميمُ

وقال مخاطباً للقائد عبد الله الروسى وقد لزم بيته خوفاً من بعض الأشرار :

ألا أيُّها القـائد المُجْتَبِى ومَن حاز فى المجد أسنَى مقام
ومن هو فى فاس بدرُ دجًى يُطاولُ بالأُفق بدرَ التَّمام
فَزِعتُ إليكم وقد شفَّنى امتدادُ مقامى بهذا المقام
وقد شِبْتُ ممَّا قُذِفتُ به بإثر اثنتَين وعشرين عام
وياليت من هو مثْلى شج يصير خبيئة إحدى الرجام
«فلا تأْخذنى بقول العِدا وإن أكثروا فىَّ زور الكلام»
فما جِئْتُ شيئاً ألامُ به سوى أنَّنى بالعُلا مستَهام
أَخوضُ بحار العلوم مدًى وأُسحرُ طورًا بدُر النِّظام
وهَبْنى اقترفت ذنوباً طغت فمِثْلُك يُولى الذنوب العِظام
فحِلْمُك قد عم كلَّ الورى وأَصلح ما بين خاص وعام
وجُـد لى بعَفوكِ يا ربَّه فعفُوك عندى المُنى والمرام
فمَن لابن زاكور مِن منجد سواك إذا حاربته اللئـام
فلا زلْتَ ترقى سماءَ العُلا وكهْفاً يلوذ به من يُضام

وقال فى مدح تطوان :

تِطْوانُ ! ما أَدْراكما تطْوانُ سَالَت بهَا الأَنْهَارُ والخُلْجَانُ

قُل إنْ لحاكَ مكابرٌ فى حُبِّها   هى جنَّةٌ فِرْدَوْسُها الكيتَانُ

قال معارضاً توشيح (شقَّ جيبُ الليل عن نحر الصباح) متخلِّصاً لمدح الرسول الأَعظم صلى الله عليه وسلم :

عِلِّلانى فلقَدْ جاءَ الصَّباحْ   بسُلاف الرّاحْ
وامْزُجاها بلَمَى غِيدٍ صِبَاح   واملْإِ الأَقْداحْ
واسْقيَانى فلقَدْ غنَّى وصاح   طائرُ الإِصْباحْ
إنَّ فى الكاسات من خمر الدِّنان   سَلْوة المحْزونْ
فاشْربَنها فلقَدْ آن وحان   زمــنٌ ميمونْ

* * *

مُذْ بدَتْ تطْلُع أَقمارُ المدام   فى سمَا الفِكر
قوّض الأَشْجَان من بعْدالتِئام   رائدُ البِشْر
مثْلَما قوَّضَ غربان الظَّلام   أَجْدلُ الفَجرِ
يا لها من خمْرةٍ رقَّت معَان   منْ بها مَلْبون
فاقت الأَقمار فى أَيدى القِيَان   فى الليالى الجُون

* * *

مَزجَتْها راحةُ الإِسْكندر   بشرى اسْرنْدِيبْ
فلِذا أَزرت بطعم السُّكر   وأَرِيج الطِّيبْ
وأَشَبَّت بسَنَاها الأَبهَر   أُمنيَّات الشِّيبْ
فاسْقِنيهَا قهوةً تكسُو البَنَان   عندم المَطْعُون
مكَثَت فى الدّنِّ دهْرًا مُذ زمان   صانها افْرِيدون

* * *

بنت كرْم حُبِيَتْ كرمتُها   لأَبى بَلْقِيس
وسقَاها فَبَدت نَضْرَتُها   أَرِسْطاطــــاليس
خلِتُها لما غَشَت سَوْرَتُها   فى حشا البنِّيس[١]
زجل الرُّهبانُ يوم المهْرجان   فى حِمَى عَبْدُونَ[٢]
أَوْ فُؤَادى إذ علاه الخَفَقَان   فهْو كالمجنُــون

* * *

هاجهُ ذكْرُ عهودٍ باللِّوى   فى ظلال البَان
وبروحى يا عذولى فى الهَوَى   شادِنٌ فتّـــان
وجْهُه والبَدرُ فى الحُسنِ سَوا   فهما مثــلان
يا له من أَحور الجَفْن بران   لحظُهُ المسنون
وجفَا عينى الكرى لمَّا جفَــان   وصلُه المَمْنُون
ليتَ إذ مزَّقَ صَبْرى بالجفَا   وسَبَا لُبِّـــى
وكسا جسمى الضَّنا والدَّنفا   وبرى قلبى
يتَّقِى الرحمن فيمن أَتلَفا   دونَ ما ذنبِ
فلقَد أَوْدى بروحى الهَيَمان   وكسَانى الهون
وحَكى لونى ممَّا قد عران   صفرةَ العُرجُون

* * *

يا حياةَ الروح صِل ذا المُبتلى   بالْهَوى قَهْــرا
لا تَظُنَّ القَلبَ منه قد سلا   أَوْ نوى غدْرا
لا ومَــن فضَّلَه اللهُ على   خَلْقِهِ طُــرّا

---

(١) البنيس الدَّنّ . انظر بحثاً حوله بعنوان(البنيس وألفاظ أخرى) فى كتابنا(خلّ وبقل) .
(٢) دير عبدون كان بجزيرة ابن عمر من أحسن المستنزهات .

الرّسول المصطفى الثّبت الجنان ذى السُّمى الميمون
من حباه الله بالاى الحِسَـان والنّبـا المكنُون

* * *

وبه أنقَذنا الرّحْمان من ظُلَم الشّكّ
وأقال الله منّا مَن غُبن بَيْعَـة الشِّرْك
لم يُطق فى الدّهر جهبذٌ لسِن وصْف ذا المكى
حَسْبُنا فى فَضْلِه آىُ القُران ذى السّنا المخْزُون
لم يَزَلْ يُتْلى على طُـول الزّمان صَادُه مَعْ نُون

* * *

خَاتِمُ الرُّسْل الكرامِ المُصطفَى وَاضِحُ المِنَهاجْ
مَن حَبَاه الله مِنْه شَرفًا لَيْلَـةَ المِعْراجْ
هُو حَسْبِى فى هُمُومِى وكَفَى نُورُه الوَهَّـاجْ
يَا رسُولَ الله يا رحْبَ البَنَـان يا مُنَى المحزُون
رِشْ كَئِيباً بزّه صَرفُ الزّمان ذُو الشّبا المَسْنُون
يا سحاب البَذْل يا بَحْر العَطَا يَا عَظِيم الجُود
كُنْ شفِيعاً للذى قدْ أَفْرطَا فى الذُّنُوب السُّود
واسْقِ مَن أظماهُ حَرُّ الخَطا حَوْضَك المَوْرُود
أنت أَوْلى مَن يقِى ذا الهَيمَان والشّجى المفتُون
يَوم يُكْسى ذُو الهَوى ثوْب الهوان مِنْ عذَابِ الهُون

* * *

وعلَيْكَ اللهُ صلّى وعلى آلِك الغُـرّ
وعَلى الأَصْحابِ مَن شَادُوا العُلا بالقَنَـا السُّمْر

أَبدًا تَترى علَيْكُم ما انْجَلى   اللَّيْــل بالفَجْرِ
هاكَها تُزْرِى بمَن أَرْخَى العِنَان   فى دَمِ الزَّرْجُون
وشدا لمَّا بَدا الصُّبْحُ وبَان   فى حِمَى جَيرون :

* * *

«شُقَّ جَيْبُ الليل عن نحر الصباح   أَيُّها السَّاقُون
وَبَدا لِلطَّل فى جيد الأَقاحْ   لُؤْلُـــؤٌ مَكْنُونْ
ودَعَانــا لِلذيذ الاصطباح   طائِرٌ مَيْمُون »

وقال فى الثناء على الله عز وجل :

أَمَّا رَضِاكَ عمُومُه وخُصوصُه   فمُنَــاخَةٌ بذُرَى المُنيب قُلُوصُه
وَهُداكَ ، جَلَّ هُدَاك، يَلْزَمُ كُلَّ مَنْ   لَزِم الضَّلالَ مَحِيصُه وحُبُوصُه [١]
وَجَداكَ مُنْسَجِم الغَمائِم عِنْدَ مَن   لَزِم اصْفِرارًا مِن جلالك بُوصُه [٢]
يدنُو لمن يدنو لبابك مُهْطِعاً   بك واثِقاً ، صدرُ اليقين وبُوصُه [٣]
ويخُصُّ خزيُك يامُخَصِّصُ كُلَّ من   قد خُصَّ فى شىءٍ سِواك خُصوصُه
سبحانك اللَّهم ما من كائِنٍ   إلاَّ ومنْك فُروضُه وأُصــوصُه
عمَّ الخلائِق جودُك الغَمْرُ الذى   منْهُ الوُجُودُ عروقُه وفُصوصُه
أَورَدْتَنا مِن بَعْدِ ما أَوْجَدْتَنا   بحْرًا غلَتْ أَصدَافُه وفصُوصُه
فالرَّوضُ قد فاحتْ به أَزهَارُهُ   والغُصْنُ قَدْ غنَّى به بلَصُوصُه [٤]
والحَوْضُ قد رقَّت سجايا مائِه   به فانْتَشَى مِن عَذْبه دُعْمُوصُه [٥]
والبحرُ قد سبَحَتْ به حِيتَانُه   والبَرُّ منه وُعُوثُه ودُعُوصُه [٦]

---

(١) المحيص والحبوص : العدو السريع .
(٢) البوص : اللون .
(٣) مؤخره .
(٤) طائر صغير .
(٥) دويبة تغوص فى الماء .
(٦) أراضيه ورماله .

شَهِدَتْ بوَحْدَتِك العَوالِمُ كلُّها ... بُعْدًا لِمَن قد بان عَنك نُكُوصُه
نطق الجمادُ بذاك والحَيَوانُ قَدْ ... بَهَرتْ وقد ظَهَرتْ عليه نُصُوصُه
والعالَمُ العُلْوىُّ والسُّفلى قد ... شهِدَتْ به أَعْراضُهُ وشُخُوصُه
رُحْماك فى قلبى المُجرَّح بالمُدى ... مِن باطِلى فعلَىَّ عزَّ حُموصُه[1]
حُطهُ وحُصْهُ بالتُّقى يا سيِّدى ... مَن لى سواكَ يَحُوطُه ويَحُوصُه
واستُر عُبَيْدَك فى دُنَــاه وَوَارِهِ ... حتَّى يُوارِىَ جِسْمَه قُرْمُوصُه[2]

وقال فى الموضوع :

إلٰهىَ إنِ كانتْ فِعَالِىَ لا تُرْضى ... فحِلْمُك يا مولاى بالعَفْوِ قد يَقْضِى
لك الخيرُ كلُّ الخير أَنْتَ مُنِيلُــه ... ولا خَيْر إلا ما لِعَفْوِكِ قد يُفْضِى
إلٰهىَ أَعْتَقْتَ المَسَاجِدَ[3] كلَّها ... مِن النَّار وهْى البعضُ من مُلكِك المَحْضِ
وفيما به أَرْسَلْتَ أَكرمَ مُرسَل ... يُنَجَّزُ عِتْقُ البَعْضِ مِن مُعتِق البَعْضِ

وقال فى مدح النبى صلَّى الله عليه وسلَّم :

لَئِنْ كانَ وَرْدُ الخَدِّ أَبْدَع فى الصَّبْغ ... وحَاطَتْهُ حَيَّاتٌ تَدَلَّتْ مِن الصُّدْغ
وذَادَتْ نِبَالُ اللَّحْظِ دُونَ اقْتِطَافِه ... وبَانتْعلىمَن سَامَه سِمَةُ الصَّدْغ[4]
فَفى قطْفِ ورْدِ المدح مَدْحِ مُحمَّد ... عليْه صلاةُ الله أَمْنٌ من اللَّدْغِ
أَدِمْ قَطْفَه تَظْهَر علَى كُلِّ حاسدٍ ... وتَظْفَرْ بأَسْنَى ما تُرِيدُ وَما تَبْغى
فَفى قَطْفِه قطْفُ المُنَى دون ما عنَا ... وهَصْرُ غُصُون البرِّ مِنْ دَوْحَةِ الرَّفْغ[5]

---

(١) حموص الجرح سكون ورمه .
(٢) حفرته .
(٣) أعضاء السجود .
(٤) الرد والطرد .
(٥) سعة العيش وطيبه .

فحُكْ فيه مِن حُرِّ الثناء مطارفاً ... مُنَمْنَمةَ الأعلامِ بَاهِرَةَ الصَّبْغ
وقُلْ واعتَرِفْ بالعَجْزِ فيه قصيدةً ... وإن كُنتَ مِن أَهْلِ الإجادةِ والنَّبْغِ
فقد أفصح الذكر الحكيم بمدحه ... وَمَدْحُك مِنْه فى الحقيقة كالنَّشْغ[1]
ولكنَّه صلَّى الإلهُ عليه مـا ... حَلاَ ذِكْرُه يُولى الجزيل على الوَشْغ[2]
وكُن ذَا خُضُوعٍ فى خِطاب جَلالِه ... فإنَّه لِلمُثْنِى على مَجْده مُصْغِ
بجَاهِك عند الله يَا أَصْلَ أصله ... فآدَمُ لولا أنت ما فاز بالنَّبْغِ
وحَقِّ أَبى بَكْر لَدَيْك وبنْتِه ... وبضْعَتِك الزَّهْرا اكْفِنَا كُلَّما مِلْغ[3]
وَحُطْنى وأَهْلى مِن عُداتِك واسْقِنَا ... بسَجْل مِنَ الإحْسان مُتَّسِع الفَرْغِ
حَنَانَيْك قُدْنا للسَّعادة واهدِنا ... فذَاكَ الذى نرجُو وذاكَ الذى نَبْغى
لَقِينا مِن الدُّنيا وأَنْياب بُوسها ... نظيرَ الذى يَلقَى الهَشِيش مِن المَضْغ
وغَيَّرنا فيها قبيحُ ذُنُوبِنَـا ... كما غَيَّرت بيضَ الثِّياب حُلى الصَّبْغ
فأَنقِذْ نُهانا مِن هَوانا فإنَّـه ... شجاهَا كما يشجو الفتَى وَرَمُ الرُّفْغ
علَيْكَ صلاةُ اللهِ يَامُرْسَـلاً إلى ... جَميع الوَرى ما اسْتُوصِلَتْ شَافة النَّزْغ

وقال يمدح الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسى:

شاقَتْك آرَامُ إلْفِ ... بَيْنَ العُذَيْب وحِقْفِ
إذْ واصَلَتْك الأَمَانى ... بَيْن ارْتِقَاب وَخَوْفِ
فيما حَوَى نَعْم عَيْنٍ ... ورَوْحَ أُذْن وأَنفِ
مِن جَنَّة ضحِكَتْ مِن ... بُكَاء أَجْفَان وطفِ
إن غنَّت الوُرقُ فيها ... أَذْكتْ مَجامِر عَرفِ

---

(١) التلقين وتعليم الكلام وأيضاً الشرب باليد ، فهو تقليل له وتحقير .
(٢) القليل .
(٣) الأحمق الفاحش .

وأَوْجَسَ الغُصْنُ أُنساً فهَزَّ عِطْفاً لِعِطْفِ
ونبّه الطَّلُّ نَوْرًا يَرنُو بأَجفان خِشْفِ
خَلَعْتُ فيها عِذَارِى بين اجتِناءٍ وقطْفِ
ولَثْم خَدٍّ لِوَرْدٍ ورَشْفِ خِلْفٍ لقطْفِ
ورُضْتُ فيها غَرامِي يَقُوده طِرفُ طَرْفِ
رَاقَتْ فراقَ نَسِيبي فهامَ وصْفِى برَصْفِ
فما التخلُّصُ منها فى وسع حِذقى وظرفى
لولا مديحُ هُمَام مِن الغَباوة يشْفِى
لأنَّه ذُو ذَكاءٍ مُبْدٍ لما أنت تُخفِى
وشَمْسُ عِلم وَفَهْم وظَرفُ ظرفٍ ولُطفِ
(محمد) الحَبْر الاسمَى (الفاسى) المحلى لِوَصفِ
بَدْرٌ بَدَا نُورُه مِن شُموس عِلْمٍ وَكَشْفِ
مَن قَدْ رَوَى عَن أَبيه من العُلاَ كُلَّ صِنْفِ
وصافَحَتْـه صَغِيرًا أَكُفُّ أَمْرٍ وكَفٍّ
يرْتَاحُ إن عَنَّ بَحْثٌ مِن ذى ذكاءٍ وظرفِ
ويزدَهِـيهِ ابْتِهَاجٌ كالخرْق يَحْظَى بضَيْف
يُبْدى بأَعْذبِ لَفْظٍ مـالا يُؤَدَّى بأَلفِ
إلى . شُموس بَيَـانٍ تُضِىءُ مِن كلٍّ جرف
بَيْنَ الهُدى ونُهَاهُ فى النَّصْر أَوْثقُ حِلْفِ
وبَيْنَ مَا يَقْتَفِيه والعُجْب غَايَةُ خُلْفِ
شَيْخٌ غَذَتْه المَعَالى بـدرٌ أَفْضَلِ خِلْفِ
فَهْىَ به خيرُ ريمٍ لأَنَّه خيرُ خِشْفِ

يُبْدى شَمائِلَ زُهْرًا لذى خَلاَئِقَ غُلْفِ
كَالشَّمس تَقْذِفُ نُورًا لذى ثناءٍ وقَذْفِ
سَجِيَّةٌ قَدْ حَواهَا عن كُل أَرْوعَ عَفٍّ
مِن مَعْشَرٍ قَد أَحاطُوا بكُلِّ مَدْح ووَصْفِ
قَدْ أَسْرَجُوا لِلْمزَايَا مِن الهُدَى كلّ طِرْفِ
أَوْتَادُ فاس فَفَاسٌ تَلُوذُ مِنْهم بكَهْفِ
لأَنَّهم قَدْ حَمَوْهَا بالعِلْم مِن كُلِّ رَجْفِ
فَلَم يهمُّوا بنَقْصٍ ولم يَفُوهُوا بخُلفِ
وما ابْتَغَوْا قطُّ أَمْرًا يحكى سَحابةَ صَيْفِ
بَلْ حَرَّرُوا كُلَّ عَدْلٍ من الخلاف وَصَرْفِ
وأَوضَحُوا للمعالِى كُلّ اصطلاح وعُرْفِ
وَأَنْجَبُوا بإِمامٍ أَبْدَى سَنَاهُمْ بِضَعْفِ
يَضِيقُ عن عُشْرِ مَا قَدْ حَوى رَوِيِّى وَحَرْفِى
لأَنَّ مُجْتَثَّ سَعْدِى يُدْلِى بعِىٍّ وضعْفِ
أَبقَى سِيَادَتَهُ مَن يَبْقَى بلاَ نَقْص كَيْفِ

وزَارَ أَبا على اليوسى عند نُزُوله بصنهاجة فقال فيه :

بِكَ هَذَا المَكَانُ يا مَنْ فِرَاقُه هَالَنَا زَالَ نَحْسُه ومُحاقُــه
قَد أَقام لِكونِكم فيه عُرْساً فتَحلَّتْ بثَلْجِه أَطْوَاقُه
وَتَغَنَّتْ رِيَاحُه النُّكْبُ لَحْناً أَرْقَصَ الغُصْن بالحُسَين عِراقُه [1]
مَن لِصنهاجةٍ بوصل (ابن مسعود) الإِمام الذى دَهَا إِشراقُه

---

(١) الحسين والعراق من النغمات الموسيقية .

وسقَى بحرُه المشارق مِن بَعْد المغَارِب منذُ طابَ مَذَاقُــه

(حسن) العلم والشمائل والأ خلاق حُسْنُ الزمان منه اشتِقَاقُه

لا تحلَّتْ بحُسْنِه غير أيَّا م وفى فَاسِنا يكونُ ائتِلاقُه

وقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة :

لى فى هَوى المحبُوب أَعْظَمُ نَشْوةٍ مَوْصُولة الأَفراح رَقَّ طِلاَها

فإذا سَكِرتُ صَحَوْتُ منْ طَرَبى بها وإذَا صحوتُ سَكِرْتُ مِن ذِكراها

فإذا صحَوتُ فما صحَوتُ عن العُلا وإذا سَكِرتُ فَما سَكِرتُ سَفَاها

جَمَحَتْ بمَيْدان النَّسيب قَريحتى ومَديحُ مَن سادَ الورَى يرْعاها

نَادَتْه : يا مُجْلِى العَنا رُسُمُ الهَوى أَرْقَلنَ بى لمَّا امْتَطيتُ مَطَاها

فَتَخلَّصتْ سَنَاهُ إِذْ لبِّــاها كالشَّمْس إشراقُ الضُّحى جَلاَّها

وجَدَتْ مكانَ القَولَ مَفقُودَ المَدَى سَامِى الذُّرى أَعْيِى الورى مَرْقَاها

جمٌّ الفضائل لاَ يُحاوَلُ حَصْرُها غَمْرَ المزَايَا عَوْضُ لا تَتَنَاهَا

قَصُرتْ بَنَانُ الشَّرْح عن تَبْيِينِها إِذْ بانَ عجْزُ الفَهْمِ عَن مَعْناها

بُهِتَتْ وَحُقَّ لِمِثْلها فى مثْلِه وَالمِثْلُ مَفْقُودٌ لأَحْمدَ طَــهَ

شَمْسُ العَوالِم كُلِّها ومُمِدُّها فى النَّشْأَةِ الأُولَى وَفى عُقْبَاها

قَبْلَ الوُجُود تَلأْلأَتْ أَنْوَارُهُ فَالعَرْشُ والكُرسِىُّ بَعضُ سنَاهَا

أَصْل الأُصُول وَفَرْعُها ومَلاذُها وسِراجُ غَيْهَبِها وفَجْرُ دُجَاها

وَلَدتْه آمِنةٌ أَبَ الأَب آدَمٍ للهِ مَن تَلدُ ابْنَهَا وأَباها

ضَحِكَتْ به زُمَرُ الحَقِيقَة إذْ بكَتْ فِرَقُ الرَّدَى هَمَّالةً عَيْناها

فَمنَاهِلُ الإِيمان طَمَّ هُداها ومَنازِلُ الخُسْران صَمَّ صَدَاها

تَاهتْ مُلوكُ القَوْل فى أَمْداحِهِ والتيهُ فى أَمْداحِه أَقْصاها

لاَ يُسْتَطَاعُ مَدِيحُ مَن أَوْصافُه ... قَد طرَّزَ القُرآنَ بَعضُ حُلاَها

وإذا امْتَرَيْتَ فَإِنَّ (سُبْحان الذى ... أَسْرَى) به لَيْلاً كَفَاكَ (وطه)[1]

قالوا : أَلاَ أَمْدَحْـــه فَقُلت أَبَعْدمَا ... أَثْنَى عليه اللهُ جلَّ شِفَاها ؟

فى حَضْرَةٍ قُدْسِيَّةٍ لَمْ يَسْتَطِعْ ... جبريلُ أَن يَدْنُوَ مِن أَدناها

ما بَعْدَ مَدْح الله جلَّ جلالُه ... مَدْحٌ لِمَن خَفض العُلا وعَلاَها

وَبنَانُه فَاضَتْ نَوالاً مِثْلَ مَا ... فاضَتْ بمَا رَوَّى الجُيُوشَ مِيَاها

وَأَنَالَهُ الرَّحمنُ جَلَّ مَكانَةً ... فتَبارَكَ الرَّحمنُ ما أَعلاهَا

أَقْسَمتُ بالهَيَمان فى أَسْرارِها ... ما حَامَ خَلْقٌ قَطُّ حَوْل حِماها

عُذْرًا رَسُولَ الله جِئْتُك طَالِباً ... لا مَادِحاً (حاشَاك) - عِنْدكَ جَاهَا

وَلَئِنْ أَسَأْتُ بما نَظَمْتُ فإننى ... أَهْدَيتُ أَبكَارى إِلَى مَوْلاَهَا

أَنتَ الذى أَوْلَيْتَنا أَسْبَابَها ... وَاللهِ لوْلاَ أَنْتَ ما نلْنَاها

هَا عَبْدُك المُضْطَرُّ أَمَّ جنَابكُم ... يرْجُو مِن ادوِيَة الضنى أَشفَاهَا

هَا عبْدُك المَلهُوفُ لاَذَ ببَابكُم ... يَرْجُو مِن اسْباب الهُدَى أَقْوَاها

قَدْ غلَّه الإِيغالُ فى شَهَواتِه ... إِذْ أَوثَقَتْـــه ذُنُوبُهُ إِكْرَاهَا

وتَنَاوَشَتْه مُعْضِلاَتُ زَمانِـــه ... حتَّى بَراهُ الوَجْدُ مِن جَرَّاها

فَأَنِلْه تَخْصِيصاً بجر إِضافَة ... لِحماك مَعْ مَن قَد أَطاع الله

وامْنَحْه فى حد الغِنى طَرْدَ العَنَا ... حَتَّى تُنَاولَه المُنَى يُمناها

صلَّى عليْكَ اللهُ يا منْ جاءَنا ... بالرِفْـــق لا فَظًّا ولا جَبَّاها

صلَّى عليْكَ الله يا من جاءَنا ... سَهْلاً على الضُّعَفاءِ لا تَيَّاها

صلَّى عليْكَ اللهُ يا من حُبُّه ... قد بصَّر الأَلْبابَ بَعْد عمَاها

صلَّى عليْكَ اللهُ يا من ذكرُه ... قد طيَّبَ الأَسْمَاعَ والأَفْواها

---

(١) يشير إلى سورة الإسراء وسورة طه من القرآن الكريم .

وقال فى مخاطبة المولى محمد المعروف بالعالم ابن السلطان مولاى إسماعيل على لسان الشريف الجليل المولى أبى عبد الله الصقلى :

أدامَ الله مـولانا العلِيّا يحاكى الزُّهْر والزُّهر الجَنيّا
ذكىُّ الخُلق زَيْنَ الخَلق يحيي م النّواظِر والخَواطر حيثُ حيًّا
وحيّاهُ الإلاهُ بكُل فَضْل ولاَ زَالَ العَلاَءُ له نَجيًّا
أَمولانا الذى خفَض الثُّرَيَّا وبَانَ به العُلاَ بشَرًا سويًّا
لقَد أَضنَتْ مَحبَّتُك المَزَايا كما أَضْنَى الهوَى غيلاَنَ ميًّا
بِحَارُك لاَ تُكدِّرُها دِلاءٌ إذا ما كدَّرَتْ يوماً رَكيًّا
أَمِيرُ المُؤمنين أَبُوكَ من قَد أَتَاهُ رَبه مُلْكاً عليًّا
وَجدُّك خيْرُ خلق الله طُرًّا بِحَسْبِك أَن تَكُونَ لَه سمِيًّا
فكيفَ وقد عكفْتَ على عُلاَهُ وصِرْتَ بكَنْزِ سُنتِهِ غنِيًّا
وجنَّبْتَ المَثَالِبَ والمَثَانى وصيَّرْتَ الهَوى يهْوى هُوِيًّا
وبيْنَ يدَىْ خِطَابك يا ملاَذى أَبُوحُ بما غدَوْتُ به شَجيًّا
بِعَادُك يا مُحمَّد وهْوَ سُمٌّ أَعان البَثَّ والشَّكْوَى عليًّا
ونَارُ الشَّوق وهى أَحرُّ نار رَأَتْ قَلْبِي بها أَوْلَى صُليًّا
فِرَاقُك صيّر البيضاءَ [1] سَوْدَا لأَنَّك كنْتَ كَوْكَبَها السَّنِيَّا
أَما شَاقَتْكَ فَاسُ ؟ فَقَبْلُ شَاقَتْ لَيالى السَّفْح مولانا الرَّضِيا [2]
لعَلَّ أَباكَ ينْبُوعَ المعَـالى مُعِيدَ رَمِيم ميْت الفَخْر حيًّا
يكُونُ بكُم على فاسٍ سَخِيًّا كما كان الزّمان به سخيًّا

(١) فاس .
(٢) هو الشريف الرضى الشاعر العاطى المشهور ويشير ابن زاكور إلى قوله :
يا ليلة السفح هلا عدت ثانية سقى زمانك هطال من الديم

يرُدُّ لمَطْلَع الخُلفاء مِنكم هِلاَلَ الفَضْل مُلتاحاً بهِيّا
فيسرجُ منك غيهَبُنا فنلقَى بكَ الآمالَ باهِـرة المُحَيّا

وقال موشحاً فى السلطان على نسق (حق الهنا والسرور) :

حدِّثْ عن مناَقبْ مولانا الرَّفيع القدر الأَكمَلْ
حاصِـدِ الكتائِبْ ونَارُ الوَغى بالبيض تَشْعَلْ
مُخجِل السَّحائِبْ بالجُود الذى ما زَالَ ينهلْ
أَيْنَ جُودُ حاتِمْ ؟ من جـود الذى ساسَ البريّا
نافِـذ العَزَائِمْ مُعِيـد السُّرور الميت حَيّا

* * *

دِيمَـةُ النَّوَالِ مـلاذُ الوَرى غرباً وشرقا
فلاَ زَالَ حالى بالعِـزِّ الذى يَعْلُو ويَرقى
أَربُّ الجَـلاَلِ طوق ملكه بالنَّصر طوقـا
أَزينَ المَواسِمْ أَيا مَنَ حوى ملكاً عليّا
لَوْلاَ أَنْتَ غانِمْ لَكان الهَنَا عنَّا غنِيّا

* * *

أَفخْرَ الخَلاَئِقْ أَغوث الوَرى براًّ وبَحْرَا
حوَيْتَ اللَّطائِفْ وأَوْدَعْتَهـا بالقَسْر قصرا
دُمْتَ فيه قَاطِفْ من نخْل المُنَى والسَّعْدِ تَمْرا
ثَغْرُ اليُمْن باسِمْ وطيْرُ المُنى يشدُو هنِيّا :
أَزَين المـوَاسِمْ أَيا من حوى مُلكاً عليّا

وقال فى التوسُّل :

إرحمُــوا عبدًا أَتاكُم يا موالِينَــا
سائِفاً[1] تُرب حِمَاكُم مِسكَ دَارِينَا
شَاحِذًا بيضَ ردَاكُم لِلمُنَــاوِينَــا

وقال فيه :

قرَعتُ بذُلِّى بابَ العَزيزْ ولِلنَّفْس ممَّا تَلَظَّتْ أَزيزْ
وأَيقَنْتُ أَنى إذا جئْتُه ذليلًا لَجَأْتُ لِحِرْزٍ حريزْ

وقال يمدح مدينة القصر الكبير :

أَبى القصرُ إلاَّ أَن يحوزَ العُلاَ قَسْرا وأَن يبنِى المجدُ التَّليدُ به قَصْرا
لَئِن فاتَه الماءُ المُفَجَّرُ مِن صَفا فَفِيه مِيَاهُ الفضل قد فُجِّرتْ بَحْرا

وقال يمدح أَبا العباس الجرَّاى من أَهل القصر :

بالقَصر سادات ذَوُو هَدْى رضعُوا لِبَانَ المَجْد مِن ثَدْىِ
صاغُوا مُبَــالغةً لِجَرْيِهمُ فى الفَضْل (فعَّالاً) من الجَرْى
هُم زينَــةُ القَصْر وحِلْيَتُه والقَصر مُفتِقرٌ إلى الحَلْى

وقال وقد أَشرف على مقام الفاتح الأكبر مولانا إدريس بن عبد الله بزرهون :

هذا هِلالُ المغربِ هذَا مُجَلِّى الغَيْهَب

(١) ساف الشىء واستافه شمه .

هذا الذى أَنْوَارُه تَفُوقُ كلَّ كَوْكَب
هذا الذى مَن أَمَّهُ لا يختشى مِن نُوَب
هذا الذى من زَارَهُ لَيس يرَى مِن تَعَب
هذا رَفيعُ الرُّتَب هذا عظيمُ المَنْصِب
هذا عريقُ الحَسَب هذا شريفُ النَّسَب
هذا الرضى إدْريسُ نَجْ لُ (الكامل) المهذَّب
شَمْس الهُدى ابن حسن ابنْ حسَن المُنتخَبِ
ابن علىٍّ والبَتُو ل خير أُمٍّ وَأَب
بنْت الرَّسُول المصطفَى المُجْتَبىَ المُقَرَّب
محمّد أَزْكى الورَى مِنْ عجَمٍ أَو عرب
صلَّى عليه اللهُ ما لاحَ ضِياءُ الشُّهُب
وآلِــه وصَحْبه مِن كُلِّ لَيْثٍ مِحْرَب

وقال فى مقام القاضى أَبى الفضل عياض بمراكش :

هذا ضريحُك يا عياضْ يا من (شِفَاهُ)[1] شِفَا المراضْ
سَحَّتْ عليه ـ لأَن حوَى منكَ الحدَائِقَ والرِّياضْ
والبَحْرَ بحْرَ معَــارفٍ وعوارفٍ سَهْلَ الفِرَاضْ
دِيمٌ تَلُثُّ ثَرَاهُ مِن رضوان رَبٍّ عنك رَاضْ

وقال فى مقام أَبى القاسم السُّهَيلى ثَمّةَ :

سلامُ الإِله وَرضوانُه على قَبركُم يا أَبا القَاسم

(١) إشارة إلى كتابه (الشفا) المعروف .

يفُوحُ ثَرَاهُ بنشرهِمَـا كفَوح شذا (روْضِك) النَّاسِمِ[1]

وقال بها مستدعياً من الشيخ أبى العبَّاس العطَّار أَن يُقرئه أُرجوزة ابن سينا الطبيَّة :

ماذَا على العَطَّار لَو أهدى لنا نَفحَاتِه مِن جُونَة الأُرْجُوزَهْ
وأَباحنا أَسرارَها تِلكَ التى أَمسَتْ على مَن دُونَه محرُوزَه
إِنى وَإِن شهِدَتْ بنقْصى سيرَتى وبه شمائِلُ شيمَتِى ملمُوزَه
لا أَرتضى لِكمَالِه ــ حاشاهُ ــ أَن تبقَى المعارفُ عنده مكنُوزَه
هــذا ورَايَةُ حُبِّه وَودَادِه أَبداً أَرَاها فى الحَشَا مَرْكُوزَه
وغُصُونُ رَوْض الشُّكر وَهى نَضِيرةٌ ما إِنْ تَزالُ بذِكره مَهْزُوزَه

وكتب إِلى الشيخ أَبى على اليوسى :

سلامٌ عليكم والحوادثُ أَلْوَانُ ومِنْ دُونِ آمال المُحبين حِرمَــانُ
سلامٌ عليكم والأَسى يتْبعُ الأَسى عليكُم فأَمَّا الصَّبرُ عنكم فَخَوَّانُ
سلامٌ عليكم حيث سارت حُدوجُكم وسايَركُم رَوحُ الإِله ورَيْحَانُ
وروَّض ربِّ القَفْر حيث حللتمُ به إِنَّ ذاك القَفْر عِندىَ عُمرانُ
أَأَحبابنا يا جنة الخُلد بهجةً لِبَيْنِكُمُ بيْن الجوارح نِيرَانُ
أَأَحبابنا يا أَرجح الناس نُهيَةً عُبَيْدُكمُ مُذ سِرتُم عنهُ حيرانُ
أَأَحبابنا يا أَربح الناس صفْقَةً مسِيركمُ دونى للقَلْب خُسْرانُ
أَأَعذب شىءٍ ما أَمرَّ فراقكم فمُذ بنتُمُ ما خامر القلب سُلوانُ
أَأَحسن شىءٍ شانَنى البُعد عنكمُ وكنتُ بكم يا أَجْمَلَ النَّاس أَزدَانُ

---

(١) فيه إشارة إلى كتابه (الروض الأنف) الذى شرح به سيرة ابن هشام .

أَأَرفع شيء حُطَّ قدري بينكم وقد كنتُ مِن قبلِ النَّوى شأْنِي الشَّانُ
أَأَجود شيء ما أَضنَّ خيالكمُ على مُقْلَتِي فالوَجْدُ مِن ذاك يقْظَانُ
وعرقُ المُنَى مِن بُعْدكم غير نابضٍ وهل للمُنَى بعْدَ الأَحِبَّةِ شريانُ
وسيركم أَدوى رياض مسرتي فلا ماؤها صدًّا ولا النبت سعدانُ
لئن منطقي قد أَخرسَتْهُ نواكمُ فحالي بما أَلْقى مِن البَين سَحْبَانُ
فمَا مُدنِفٌ أَضناه بُعدٌ وفُرقةٌ غريبٌ إِلَى لُقْيَا الأَحِبَّة عطْشَانُ
تذكَّر مَشتاهُم بنجدٍ وهاجَهُ نصيفٌ لَهُم حيثُ الْتقَى الضَّالُ والبان
ومَرْبعُهم بين الرُّبى حيثُ أُجْمعت خُزامى ويَعضيدٌ[1] وعِيدٌ[2] وظيَّانُ[3]
وشاقته أَحداجٌ لسلمى بعَاقِلٍ[4] وأَغْرَتْه آرَامٌ هُنَاك وغزلانُ
متى لاحَ من نجدٍ بُريقٌ يُراقُ مِن محاجره مُزنٌ مِن الدَّمع هتَّانُ
وإِن فاحَ مِن نجدٍ نسيمُ عَرارِهِ يطير به قلبٌ إِليهمُ حنَّانُ
بأَكثر مِنِّي حسرةً وتشوُّقاً إِليكم فصَدري مِن زَفِيرِيَ مَلآنُ
سلامٌ على ما رافق الركب مِنكمُ لَرَافِقَهُ منكم لَبِيدٌ وحَسَّانُ
وقُسٌّ وسَحبَانٌ وكعبٌ وحاتِمٌ ومالِكُنا والشَّافعيُّ ونُعمَانُ
سلامٌ كريمٌ مِثْلُ نسمَةَ خُلقِكم فخُلُقُكم يالَين الخُلق رضوانُ
سلام فتىً بَوَّأْتُموهُ مراتِباً فنافسَهُ فيها الثُّريا وكِيوانُ
وطوَّقتُموه لا لشيءٍ قلائِدًا فغَار لها درٌّ ثمينٌ وعقْيانُ
وأَوليتُموه لا بمَنٍّ فوائِدًا فغَازَلَهُ منهُنَّ حُورٌ وولْدانُ
وسقَّيتُموه كَأْسَ وُدٍّ رويَّةً فراحَ بها بين الورى وهو نشْوانُ

---

(١) اليعضيد : بقلة من الأحرار تشبّهها الإبل .
(٢) العِيد : شجر يتداوى به .
(٣) الظيَّان : نبت يشبه النسرين .
(٤) العاقل يطلق على مواضع سبعة .

وكان بكُم ، فاللهُ يجمَعُه بكُم ، قريباً يُسَلى الهمَّ والهمُّ غضْبَانُ
علَينا إذا شِمْنا مُحيَّاك يا أَبا علىٍّ لما تقْضى المَسرَّة إذْعانُ
وتمْزيقُ أطمار الكئَابة عِند ما يقَابلُنا منكم غديرٌ وبُسْتَانُ
وشمْس وبدرٌ نيرانِ ووابلٌ وبحرٌ طَمَى مِن فيضِه العَذب خُلْجَانُ
ورضوى وسلمى فى الوقار وشُمَّخٌ بنَجْدٍ وأطوادُ السَّراةِ وثَهْلاَنُ
هُناك ابْنُ زاكُورٍ يتِمٌّ مُراده ويبدو لهُ وجهُ المُنَى وهو حُسَّانُ

وقال يمدح القائد عبد الخالق الرُّوسى .

فرَّجتُ من هَمِّى ومِن بُوسِى بمَديح صفو الصَّفْوةِ الرُّوسى
عبــدٌ لخالقِه وبارئِه غوثٌ لمَلْهُوف ومَوْكُوسِ
رأس الرُّؤُوس وخيرهُم حسَباً وأَجلُّهم فى نفْس مرؤُوسِ
أَبهَاهُم وجهــاً وأَوجهُهُم فى أَعيُن الأَعيان والرُّوسِ (١)
أَنداهُمُ كفًّا أَكفهُمُ عن فعل محظُورٍ وملقُوسِ (٢)
أَنقَــاهُمُ ثوباً وأَلْبَسُهمْ للمَجــد وهو أَجلُّ ملبوسِ
أَزكاهُمُ غرساً وأَغرسُهم للخَير وهو أَجلُّ مغْروس
أَحمــاهمُ للفخر أَحرسُهم للفضل وهو أَجلُّ محروسِ
أَذكاهم نفساً وأَنفَسُهم نَفَساً وأَرأَفُهم بمَنفُــوسِ
أَسنَاهُمُ خَلقــاً وأَحسَنُهم خُلقــاً وأَخلقُهُم بتنفيسِ
أَعلاهُمُ هِمَمــاً أَهمُّهم بفَكاك مصفُود ومحبوس
أَحلاهُمُ ذكرًا وأَذكرهُم لشَجٍ عديم الذِّكر ذى بُوسِ
مثْل ابن زاكُور وحسْبُك ما أولاه من برٍّ وتانيسِ

---

(١) مخفف الرؤوس ورؤوس القوم أكابرهم .
(٢) معيب .

أولاه ما يبقى له أثرٌ في أوجُـه الغُر الأماليسِ
هُو إذ حباهُ بما حباهُ به في حُكم معقُولٍ ومحسُوسِ
قامُوس مُكرمةٍ طمى فحبا قامُوس مُحمِدةٍ (بقاموس)
فلهُ المَحامِدُ مِثلُ طلْعَتِه مجلُوَّةً في عرش بلقيسِ

وقال يمدح الشيخ أبا عبد الله القسمطيني :

يا من ألحَّ عليَّ في الإنشادِ ومديح شيخي غُنية القُصَّادِ
أبلَغْتَ أسماعي وذاك مُرادي لو أنَّني أحظَى ببَعض مُرادي
أمَّا المديح فإنَّه من صنعَتي قِدمًا وحوكُ برودِهِ من قادي[1]
لكن عجزتُ وحُقَّ لي عن مدح من مُدحتْ به زمرٌ مِن الأمجَادِ
وأبت له همَّـاتُه ميلًا إلى التَّشْريف بالآبـاءِ والأجدادِ
ورأى الكمال بأن يكون كمالُه يسْرى إلى الآباءِ والأولادِ
وإلى الزَّمان مع المكان كمَطْلع م الأنوار منه وموضِع الميلادِ
إيهٍ قُسنطينةٌ فخارك فافخَرى أن كُنتِ منشأَه على بغْدادِ
وتطـاولى حتَّى تفُوقى قلْعةً نُسِبَت لَديكِ إلى بنى حمَّاد
أنجَبْتِ في العَصر الأخير بِفَاضل ساد المُقَدَّم عصْرهُ مِن هادِ
ونُتِجتِ بدر محاسنٍ أضواؤُه مُزريةٌ بالكوكب الوقَّادِ
برجـالها تسْمُو البلادُ فهم لَها كالدُّر في اللَّبَّات والأجيادِ
والغَيث للمِجداب أو كالمَاءِ م لِلَّهفَان والأرواح للأجسادِ
ولَفَاسُنا أولَى بذاك لكونه فيها المنار منار رشدٍ بادِ

---

(١) القاد والقيد القدر ، يقال بينهما قيد رمح وقاده ، ولا نرى مناسبة له هنا . ويصح أن يكون مصحفاً من عاد جمع عادة .

والبَحرَ بحر العِلم يقْذف لُجُّه م العذب المَوارد جوهر الإرشادِ
والرَّوضَ روض البِشْر يُثْمرُ دوحُه دوح المُنى بمُؤَمَّل الرُّوَّادِ
والغيثَ غيث الفَضْل يُمطر وبْلُه وَبل الغِنى بمبَدِّد الأَنكادِ
والطَّودَ طود الحِلم لَيس يَسُومُه م الرَّجفَانُ عند تزلزل الأَطوادِ
والبَدرَ بدر الحُسن يسطَع نُوره للمجتَلى باليُمن والإسعاد
والشَّمْس شمْس النُّبْل باهرة السَّنا تقضى أَشِعَّتُها على الحُسَّادِ
دامت لنا ولمن يرودُ بها المُنى مخْصوصةً بمحامِد الحمَّادِ

وقال مادحاً :

يا لُجَّـةً عِلماً وديمَةَ نائِل كلْتَاهُما مددُ العُلا قد علَّها
فأَطمَّ ذى وأَفاضها وأَجلَّها(١) وأَصب ذى وأَدرَّها وأَهلَّها(٢)
فتَـلاقتَا فتَبارتَا فى نائل والكلُّ يغْتَرِفُ المَحامِد كُلَّها
فتَساوتَا فى قسْمِها إذ لم يجد كُلٌّ جميع حُظُوظه أَو جُلَّها
فاسْلَمْ بتَفْريج المُلمات التى منهَا الفَتَى سئم الحَياة وملَّها
واخلُدْ ومِثْلُك وهو أَنت مُخلَّدٌ وكذاك من ملك العُلا وأَقلَّها(٣)

وقال أَيضاً :

يا ابن الأُلى حوت المفَاخر كُلَّها قِدماً وأَنهَلَها العَلاءُ وعَلَّها
وعُلاك أَوْ وَحُلاكَ وهو يمين من بَهرتْه آىٌ منهُمَا فتَولَّه
ما أَنت إلاَّ مُزنةٌ من نائِلٍ قال العُلا يا فضْلُ قُم فتَزلَّها
والفَضلُ أَفضل مَن تولَّى أَمر مَن ربط الفَضائِل بالفِعَال وحلَّها

---

(١) أكثر عطاءها .
(٢) جعلها تنهل وتنصب .
(٣) حملها ورفعها .

فسمَالَها فأَمالَها وأَسالَها وأَجلَّها وأَقلَّهـا وأَهَلَّها
فاهتَزَّ موقعُها الجمادُ ولَم ينَل من غيمها ذى الجَود إلاَّ طلَّها

وقال فى هذا الغرض :

لكَ البُشرى بتَيسير المَرام ونيلك ما تُريدُ على التَّمام
بحمد الله أَصبَحت اللَّيالى تقُود لَكَ الأَمانى فى زمام
بحول الله أَضحَى كلُّ صعب ذلُولاً فى مطاوعة الإِمام
بفَضل الله ذَلَّ لك المُتَـاوى وإِن سكن البَواذخ من شمَام(١)
فأَظفَرك الإِلهُ بكل باغ وأَخدمك المُلوكَ من الأَنام
وأَسمَعَك الهواتف بالتَّهانى ولَقَّاك البَشَائِر بالدَّوام
وأَبْقَى كعْبَك الميمون يسمُو سُموًّا لَم يكُن فى بال سام
فنِعْم الغَيثُ سيبك وهو هام وقد حُسِب الكرام من اللِئام
ونعم البحرُ فضلُك وهو طام إذا قال الثَّناء بك اعتِصامى
ونعم البَدرُ وجْهُك حين يمْسى وقد عاض اللِّثامَ بالابْتِسام
وإن كشَفَت لَظَى الهَيجَاءِ ساقاً (فنِعم «النَّجدُ» من بطل تَهامى)
أَعنْدكَ دامَ عندك كلُّ فضل بأَنَّ الفَضل فضلَك جدُّ نام
أَعندك دامَ عندكَ كلُّ خير بأَنَّ الخير قال بك ارتسامى
أَعندك دامَ عندكَ كلُّ مجدٍ بأَنَّ المجد قال بك اهتِمامى
أَعندك دام عندك كل عزٍّ بأَنَّ العِزَّ عزَّك فى انتِظَام
وأَنَّ الحِفْظَ حفظ الله ربى لِربع علاك يا مولاى حام
وأَنَّ السِّتْر ستْر الله أَضحى على مغْناك مسْدول القِرام(٢)

---

(١) جبل بعينه .
(٢) القرام الستر والثوب .

وأَنَّ الفضل فضل الله أَمسَى بعُقْر ذراك منسَجِمَ الغَمامِ
وأَنَّ الرُّشد والتَّوفيق مالا لمن يهواك مِيلَةَ مُستهامِ
فلا برحت تُقَادُ لَكَ الأَماني علَى وفق المَنَاقبِ والمَقامِ

وقال للقائد أَبى على بن عبد الخالق :

كلَّ يوم لك عيد الوَدُود يا هلالَ العيد فى عَين غِيد
أَنت للأَعْياد عيدٌ وزَينٌ فهنيئاً بسَنَاك لِعِيد
وهنِيئاً لك بالعيد أَيضاً بفَخْر الدِّين وزهو السَّعِيد
من يَرى منك هلالاً بعيد يجْتَلى عيدَين وقت الشُّهود
أَو يَرى يوماً عظيماً شهيدًا يالَهُ فى ديننا من شهيد
ويَرى شمْس سناءٍ تبدَّت فتَهادَتْها بروجُ السُّعُود
أَو يرى وجْه كريم كريمٍ[(١)] يتَدلَّى لِكدودٍ[(٢)] كدود
عشِقَتْ منْه المَعَالى مجيدا لا مجِيد لعُلىً من مجِيد
راقَ فى جيد الزَّمان حلاه مثل ما راق حلِيٌّ بجيد
فلَه الحُسن الذى حرَّك الغَيرة للغَادة ذات العُقُود
ولهُ الوجه البَهيجُ المجلِّى ظُلُماتٍ من نوائب سود
وله الذِّكر الذكىُّ شذاه وله العِرض النقِىُّ الجُلُود
وله الحمدُ الأَنيقُ العُقُود وله المَجْدُ الرقيقُ البُرود
وله الفضلُ المُبارى نداهُ لُجَجَ البحر الطَّويل المديد

---

(١) الرئم الظبى الخالص البياض وسهل للمزاوجة والتجنيس .

(٢) كدود الأول فعول من الكد والتعب والثانى تشبيه بالدود فى ذلك وهو من قول الشاعر :

كدود كدود القز ينسج دائباً ويهلك غماً وسط ماهو ناسجه

وله العَقلُ المُجَلى سنَاهُ ظلَم الخَطب الثَّقيل الشَّديد
وله الطبعُ السليم متى ما زيدَ مدحاً قال هل من مزيد؟
وله سعْدٌ يُرى فى السُّعود بمكان جَدِّه فى الجُـدود
فـكلا الجَدَّين أَشرفُ جدٍّ أىُّ أَبٍ عالٍ وبخت عتِيد
وله النَّفْسُ التى أَكسَبَتْهُ مِدَحاً من ذى مقال سديد
يقْتدى أَن قال مدحاً بحقٍّ بلَبِيدٍ كفْؤه فى النَّشيد
كُلَّما همَّ بنظم القَوافى جاءَه كلٌّ قريب بعيد
يرتقِى من صنعِه للثُّريَّا بعدما كان لَقِى فى الصَّعيد
يا أَبا العَالى المَقَام علِيٍّ درَّة التَّاج علَى رأس رُود
يا ابن عبد الخالق الحُرِّ الاسمَى حين عمَّ الخَلقَ خُلقُ العَبِيد
يا ابن لَيث ملأَ الأُسد رعباً فغَدوا من خوفه كالفُهُود
دُمْ صباحاً فى مساءِ الودود ومساءً فى صباح السُّعُود
ونهـارًا مُشْمِساً لمحِبٍّ وهـزيعاً مظْلِماً للعَبِيد
وكما أَنت عزيزًا حميدًا شاكرًا فضل عزيز حميد

وقال مولِديَّة :

صلاةُ السَّميع العليم على من أَتى من صميم
قُريْش ولاة الحَطيم يتِيمَة عِقْد الوجود

* * *

ترى هَلْ تَعُود السُّعود وتُنجَـز تلك الوُعُود
ويورِقُ للوصل عُود ذَوَى بعَظيم الصُّدود
وتجمَعنا دون باس مغَانى التهانى بفَاس

نُحَيِّي بورد وآس بأَكناف روض مَجُود
ويجمعنا كلُّ عيدْ وكلُّ زمان سعِيد
فننظمُ فيه القَصيدْ وكلُّ كلام مُفِيد
ونُنشِد حُرَّ الكلام وننسُقُ درَّ النِّظام
ونكشِف عنَّا الظَّلام بنُور لُحُون النَّشِيد
ونُثْبِتُ حَلْي البديع بتيجَان شَهْر رَبيع
وَمَوْلِدِ طـه الرَّفيع فأَعْظِم به مِن وَدُودْ
وأُبْهِجُ نَفْسى بما يُبصِّرُها مِن عَمى
ويُورِثها عَن ظما موارِدَ لَيْستْ تَبِيدْ
مَوارِدَ مدْح الرَّسُول مُحمد أَصلِ الأُصول
عليه صلاةٌ تَصُول على صلواتِ العَبِيد
عليه صلاةُ الإِله صلاةٌ تُعلِّي عُلاه
وتُظْفِرُه مِن مُنَاه بكل طويل مَدِيدْ
عليه صلاةُ قَدِيم حبَاهُ لِخُلق عظيم
وأَثنى عليه الكريم[1] به فى القُران المجِيدْ

* * *

صلاةُ السَّميع العليم على مَن أَتى مِن صَميم
قُريش وُلاة الحطيم يَتيمَة عِقْد الوجود

وقال مضمناً أَحرف اسم محمد صلَّى الله عليه وسلم وقد أُنشِد أَبياتاً[2]

---

(١) إظهار فى محل الإضمار .

(٢) وهى :

أحرف أربع بها هام قلبى وتلاشت بها هموى وفكرى
ألِفٌ ألَفَ الخلائق بالود فلام على السلامة تجرى
ثم لام زيادة فى المعانى ثم هاء بها أهيم وأدرى

٨٥

للحلاّج ضمنها أحرف اسم الجلالة :

أحرفٌ أربع شفت داءَ صَدْرى — وأنارتْ بإذْن رَبِّىَ فِكْرى
وهى مِيمُ المُنى فحاءُ حياةٍ — ثم ميمُ المُراد يبدو لِحُرّ
ثم دَالُ الدُّنُوِّ مِنْ كُلِّ يُمْن — ونَجاحٍ ويُسْرةٍ بعد عُسْر

الرَّبعياتُ والزَّهرياتُ

قد أينع البستان

جـــاءَ الأَصيل مُحْيِ قتِيل النَّائبـــات
قُمْ يَا حَمِيم نُبْرِدْ حَمِيم الحَســـرات
قدْكَ مِن الأَشْجان يَا مَنْ لَهُ قَلْبٌ رقيق
إصْغَ إلى أَلْحان وُرْقٍ تُنادى مِنْ سَحِيق :
قَدْ أَيْنعَ البُسْتَان فَهِــاتِهَا مِثْلَ العَقِيق
تَشْفى غَلِيــل صَبٍّ عَلِيـــل ذِى زَفَرَات
هبَّ النَّسِيم يُهْــدى شَمِيم الــزَّهرات
والشَّمسُ بِالوَرْس تَرقُم بِالرَّقْص مُلاَ
تَفْعَــلُ بالنَّفْس فِعْلَ الخَلِيج بِالطِّلاَ
حَىّ على الأُنْسِ يَاذَا الأَسى وانظُر إِلَى
غُصُنٍ يَميــلْ بَصَبــاً بَليل ذى نَسمات
من لا يَهِيمْ بِشَذا النَّسِيم أَقْسى القُسَاة

الروض فى الصباح

الروْضُ فى الصَّباح نَشْوانُ من طُلُول
أَرســـل بالأَقاح مهـــذب العقـــول
تروى به الرياح شمائل الرســـول
يُعلِّم الطبيب كَيْفيَّــةَ العِلاج

إذ نَشرُه مُذيب بُرودَةَ المِـزاج
فينثَنِي البَليـدْ فى وصْفِـه يقول
ما يُطرب الجليدْ ويخصِم العَـذُول
ويُبرِئُ العَميدُ ذَا السّلِّ والذُّبُول
أَنبأَنــا القضيب فى ضِمْن الاحتياج
أَن الدُّنا تَطيب لِتارِكِ اللّجَـاج
وللــذى يُدير كُؤُوسَ الاعتِبــار
فى روضِـه النَّضير بُرهــانُ الافْتِقار
يعلمــه البصير كالشَّمس فى النَّهار
بَيْنــا يُرى جَديب فى شِدَّة احتِياج
إذا به خَصيب فى حُلل ابتهــاج

عشية أنيقة

وعَشيَّة ما كان آنَقُ حُسْنَها تَبلَتْ فُؤَادى بالسَّنا الوَّضاح
خَلَعتْ على البُستَان حُلَّةَ عَسْجد ندبتْ حليفَ الوجْد لِلأَفراح
فلِذا الغُصونُ تمايلتْ وتعانَقت طرباً بشَدْو بلابِل الأَدواح

سرح جياد اللحظ

سرِّح جيادَ اللَّحظ. فى ذى البِطاح قد عربَد النوَّارُ فيها ففاح
وانظُر إلى البُسْتان فى حُلَّــة قد ذهَّبتْها شمسُ هذا الصَّباح
وأَينَعَتْ بالنَّــور أَفنَانُه فغرَّد القُمْرى عليها وصاح
قد أَقْبَل الأُنْسُ وفرَّ الأَسى وأَدبَر النَّحس وجاءَ النَّجاح
فاشْرَبْ طِلاَ الأَفراح فى ظِلِّه فليْس فى كاساتها من جُناح

نشوقى أولى

كُن عاذلى أَولا فالنَّشْرُ فَــاح من الأَقَاح
فنَشْوقى أَوْلَى مَن لَحْيٍ لأَح بين البِطاح
دراهِمُ النَّــوْر وشَّتْ بُرود خُضْر النُّجود
ونَفْحَــةُ الخَيرى جــاءَتْ تَقُود سَعْد السُّعود
ونغمــةُ الطَّير أَنْستْك عُود غيْــداءَ رُود
حادى المُنى أمْلى آىَ انشِرَاح ذاتَ اتِّضاح
لله مــا أَحلى نشْر الأَقَاح مــع الصَّباح
ما أَبدعَ البُستان قــد اكتُسِى بالسُّنْــدُس
مُكَلَّلَ الأَفْنَــان لا يَأْتَسِى بِمن نَسى
فاطْرَبْ بِه كيْلاَ تَرضى اللَّواح فهو النجاح
ولا تُطع نَذْلاَ يَرى الجُناح فى الارتياح

لتشكر من طرز البستان

أَرسِلْ جِياد النَّظر واعتَبِــــــــر واشرَبْ طِلاالسلوان
وذُدْ شَرُودَ الغِيَر ولْتَشْــــــــكُر مَن طرَّزَ البُسْتَان
حلاَّه غِبُّ المَطَر بالــــزهَـــــر مُكلَّل التِّيجَان
وطائرُ البِشْر صَدَحْ لأَن قَــدَحْ زَنْدَ المُنَى السَّعْد
باكرْ معَاهِدَ الفَرح فقَدْ شَرَح جمالَها الوَرْدُ

* * *

واعتنقَتْ هِيفُ الغُصون يَسْتنشــــرُون جواهِرَ الأَطواق
كأَنَّهم مُدلَّهُون مُتَيَّمُـــــــــون سمَتْ لَهم أَشْواق

وللبَنَفْسج عُيُون لا يَنْعَسُون تَبْكي من الإيراق
والنَّرجِسُ الغَضُّ نَفَحْ لمَّا اصْطَبَح من نَشْرِه نَدٌّ
فاركُض سوابِقَ الفَرح فقَدْ جَــرح خُــدوده الوَرْدُ

* * *

وزان وجْنات الشقيق نَدًى رَقيق رُواؤه يَبْهر
كأَنَّما على العَقيق دُرٌّ أنِيــق مِن أَنفَس الجَوهر
أَو دمعُ من ضَمّ العَشيق يشكُو الحريق بخَدِّه الأَحمر
يَسلُو به مَن انتزَح مِن المــرَح مَن[1] للنَّوى مَدُّوا
لَبٍّ مُنادى الفَرح فقَــد جَرح خُدودَه الوردُ

وجه الصباح

وجهُ الصَّباح تلأْلأَت أَنواره إذ طيَّبت أَردانَه أَنوارُه
ثمِلت رِياضُ الحَزْنِ مِن أَنْدائه لله ما صنعت بهنَّ عُقَــارُه
فتـأَوَّدت أَغصانُها شُكرًا لِمَن صدحت بحمد جلاله أَطيارُه

إرْوِطيّ النور عن نشر السحر

مُــدَّ للسلوان أَشراك النظر فى ابتهاج الرَّوض مِن وَجْدِ المَطر
وتلقَّ الأُنس عن آس الرُّبى وإرْوِطِيَّ النّور عن نشر السَّحر
وارتشِفْ ثَغر أقــاح باسِماً واصطَبِحْ بِالظِّل من كأْسِ الزَّهَر
والتثِمْ وجْهَ المُنَى مُستَبشرًا حيث رام الغُصن تقبيل النَّهَر
وجلى الوردُ خُدودًا أُشْرِبتْ حُمرةَ العِقيان من فَرط الخَفر
وانبَرى النِّسرينُ يُهدى ذهَباً فى صِحاف مُفْرغَاتٍ مِن دُرر

---

(١) مفعول يسلو واقع على الأحباب .

وحبا الخيريُّ أَنفاسَ الصَّبا نفَحات أَنشرت مَيْتَ الفِكر
وانتشَى البُستَانُ مِن خمر الحيا فاسْتَقَاءَ النَّورُ من ذاك السكر
نظَّمت فى جيده أَنداؤُه عِقْدَ در كُلَّما ماس انتشر
قيّد الأَلحاظَ فى بَهْجَتِه واجلُ غَيْم الغَمِّ عن شمس العِبَر
واعتبِر بالنَّور يذْوى بَيْنَما هو مَعشُوق لشم وبَصر
واشكرُ الله على آلائِه إنما ينْجَحُ سَعْياً مَن شَكر

حديث صحيح

حدَّث عَرفُ الصَّبا عن نفحة الزَّهَر عن الغُصون عن السُّقيا عن المطر
قالوا جميعاً : شَرودُ الأُنس مُقتَنَصٌ بين الرُّبَى بِشباك الشم والنَّظر

النور الأصفر

النَّور الأَصفَر يبدى ثغُوره
أَبْهَى وأَبْهَر مِن كُلِّ صُورَه
يُولى النُّفوسا حُلَى ابتِهَاج
حاكَى الكُؤُوسا بعد المِزاج
يفْرِى النُّحوسا فَرْىَ الدَّيَاج

* * *

اللَّوْنُ أَنْضَر يُوليك نُورَه
والنَّشرُ أَعطر (يشْفى[1]) الضَّروره
يا مَن أَذاهُ هَمٌّ المدينه
عُج برُبَاهُ واقطِفْ فُنُونَه

١) زيادة يقتضيها الوزن والمقام .

فَفِى شَـذَاهُ خَتْمُ العُفـونَه

* * *

الله أكبر مُذْكى بُخُـوره
حُسنٌ مُحبَّر لِمْ لا تـزوره
عـرِّج عليْـه عنـد الصَّبـاح
وانْهَض إليْـه مـع الصَّبـاح
تَجِـدْ لدَيْـه أَصْلَ النَّجـاح

سر بديع

جَـلَّ صَنيع البَدِيـع الفَاعِل المُخْتار
حلَّى الرَّبيع الرَّفيـع بحيلة النُّـوار
سِرٌّ بَديـع لى مُذِيع سرائرَ الأَزهار
الروضُ رَاض وهو رَاض غُصونَ أَشجاره
شِفا المِراض فى مِراض جُفُون أَنواره

* * *

صحَّ العَليل مِنْ عَليل نَسِيمه المِعْطار
إذ فى مَميل النَّحيـل مِن غُصنه أَسرار
وفى مَسِيـل سَلْسَبِيل مِياهِه استِعْبار
فِعلُه مَـاض عِند قَاض أَفكـار زواره
إذْ لا اعْتِراض فى اقتراض نُقُودِ أَزْهَاره

* * *

ولِا جُنَـاح فى مُبَاح أَلْحان ورْشَانه

وهل يُتـاح ارْتِيَـاح إلا بِرَيْحانِه
تَرْوِى الرِّياح عن صَحَاح آثار نَيْسانِه
مَن فى الرِّياض والحِيَاض أَجَلُّ أَوْطارِه
فيـه تُرَاض عن تَرَاض بَناتُ أَفْكَارِه

ثغر الصباح

ثَغْرُ الصباح تَبَسَّم مِن شَدْو طَيْر تَرنَّم
والوردُ أبدى عَقِيقًا بِشذْر تِبْر مُعلَّم
كَأَنَّه بِنَـدَاه وجهٌ صَبيحٌ مُلَثَّم

فصل المنى

فصلُ المُنَى أَقبل يُفَرِّجُ الأَحـزان
فانْهض بِنا وأَعجل لِدوحـة البُستَان
قُم فاسق يا خمَّار واترع كُئُوس الراح
صَهبا كلَوْن النَّار تُنفِّـرُ الأَتْراح
أَما تَرى النُّوار قد دبَّج الأَدْوَاح
والطير قَد ولْوَل فأَطْـرب الأَغْصان
والوردُ قد أَخْجَل شقائِقَ النُّعمـان
والزَّهرُ قد نضَّد عمائِمَ الأَشْجـار
والنَّور قد عربَد بِخمـرة الأَنْهار
فهذا كالعَسْجـد وذاك كالبُـلَّار

قطائف الربيع

أتلــومُنى يا عاذلى فى حُسن هَاتيك القَطائف
والطَّير مُــذ برزَت له غردٌ على الأَدواح هاتف
مُتَرَنِّمٌ كلَفاً بهــا طرِبٌ على الأَفراح عاكِف
والغُصْن أَوْماً راكعاً لجمالهــا لَدْن المعاطف
عرٍّج عليها إذْ بِها ما آنق الصبٍّ المُلاطف
ما بين أَصفَر فاقِــع فى أَحْمر غضٍّ المقاطف
فى وسْط أَخضر يانِع للواحظ الأَبصار خاطف
لا سيَّما عند الأَصيِ لِ فحسنُها السلوانَ قاطف
والشمس ترقُم مَتْنَها بِنُضارها رقمَ المطارف

عشية جميلة

وعشية أَذْكى رُواءُ جَمالها بين الجوانح لاعجَ الأَشواق
بَسطت قطائف تِبْرِها بحدائقٍ مرقومة بزبَرجد الأَوراق
نَدَبت لراح الأَنس محروق الجوى بِلظى النوى، قم هاتِها ياساق !

شجرة برقوق أسود

ومُثمرة بِعُيون الظِّباءِ تَحلَّتْ بِسُنْدُس أَوراقها
إذا راءَها مَن بَراه الجــوى سلا مَن سَبَتْه بِأَحداقها

الأصيل الذهبى

وَافَى الأَصِيل مذهَّب الأَطــواق يـختالُ فى حُلل من الإِشراق
أَشجى ببَهجتــه الهزارَ وغُصنَه فشدا ومال وذى حلى العُشَّاق

قرة العين

قد قطَفنا ذهَباً من سندُس واقتضينْا شفَقاً مِن حِندس
وقَنصنا بين أزهار الرُّبى قُرَّةَ العين وزَهْوَ الأَنفُس

سلوة الأحزان

قد اكتسى العُريان من مائِس الأَغصان بالسُّنــــدُسِ
وطــرَّز البُستان بالورد والرَّيْحان والنَّـــرجِس
هبَّت به الأَزهار بِنَسمة الأَسحار من الوسن
وهاجَت الأَطيــار برائق الأَشعار أمّ الحسن [1]
تُسبِّح الجبَّار الواحد القهَّار مولى المنن
من علَّم الأَزمان بمُذهِب الأَشجان عن مُبْلِس
وكلَّل الأَفنان بنُورها الفَيْنان ذى النَّفَسِ
فالروضُ فى نَشْر يبُثُّ بالفَجْر سِرَّ الزَّهَر
والأَرضُ فى حشْر كتائب النَّور ذات الغُرر
يُكسَى مُلا البِشر ببُسطها الخُضر مَن اعتَبر
شِمْ بارِق السُّلوان ياذا الأَسى اليَقظَان فى الخُلَسِ
فسَلْوةُ الأَحزان فى نَفْحة البُستَان بالغَـــلَسِ

جيد الروض حال

حدِّث عن عجائب زمــانِ الربيع الفَصل الأَجمل
واشكُر ذا المواهب غَزير النَّــدا ذا الفضل الأشمل

---

(١) البلبل .

مُرسل السحائب تُعِير الجديب زِيَّ مُخضـــل
نَبِّه جَفْن الأَفكار واقدَحْ بالحجا زَند الرويّـــه
واقطِف نَور الأَشجار ووحِّـــد بِه ربَّ البريَّه
صُنع ذي الجلالِ ربِّي تعـــالى يُنبِّه المُحقا
جيدُ الروض حالِي وقُضْبُ الرُّبى طُوِّقْن طوْقـــا
مَن يلحظْ بحالِ سِوى ربنـــا ذي الخَلق يشقَى
فلا زال يختَار بلا علَّـــة ولا سجِيَّـــه
حفَّ عذبَ الأَنهار بخُضْر البُسُـــــط السُّنْدُسِيَّه
ومـــدَّ القَطائف من نَشر الحَيا نُمِّقْن نَـــورا
حُفت باللَّطائف وقد نَمْنَمتْ نَجْدًا وغَـــورًا
زُر تلك المَقاطف ولا تَصْطَلِي للغَمِّ جَمْـــرا
وشِمْ بَرق إنْذار واذكُران تَضِق فَتْك المَنيَّـــه
واقرعْ بابَ الأَنوار بالصلاة على شمس البريَّه

لطة : (١) طبيعتُها

لطةُ فيها ما تُحبُّ النُّفوس وما يُريح القلب مِن كُل بُوس
هواؤُها يُحيِي قتيلَ المُنَى وماؤُها يقتل حَيَّ النُّحوس
وتُربها يُنْبِتُ مُجلِي الضَّنا وجوُّها يُطلع مُسلِي النُّفوس
لو حلَّ فيها من بَراه الجوى علَّله الأُنسُ بِأَسنَى الكُؤُوس

(٢) فواكِهُها

لطةُ فيها التِينُ والعِنَبُ ما ينقضي لي مِنْهما عَجبُ

أحمرُه الغَضُّ وأبيَضُه إن شُبِّها الياقُوتُ والذَّهَبُ
والأسودُ التِّينِيُّ يُشْبِهُه وليس فيها أَدَّعى كذِبُ
مداهِنٌ من عنبر جُمِعت وفى حشاها المسك والضَّرَبُ
فما تبدَّت فى مقاطِفِها إلاَّ وللشهوة مُلتَهِبُ
يُوعِد أنْ ليست بقَانعةٍ إلاَّ بأكْل فَوْقَ ما يجبُ

كيتان

إنَّ روضَ الكيتان روضٌ أَرِيضُ ومَدى اللَّهو فى ذَراه عَرِيضُ
يكتَسى نَضْرةً به وسُرورًا مَن حشاه من الهُموم مَرِيضُ

تاغزُوت

بتاغزُوتٍ قد غزوْنَا العِنَبا فلم نَدع منه جنِيًّا طيّبا
إلاَّ مَددْنا لجنَاه سبَبَا أَوراقُه تَحسِبُهنَّ غَيْهَبَا
وهو يَلُوح فى دُجاها شُهُبا

جبل مصْمودة

جبل جلَّلت ذُراه الريَّاحين متَّع اللهُ ساكنِيه إلى حين
وحماهُم من كُل سوءٍ وأَبقا هُم كُهوفا يأْوى إليها المَساكين
وقفَتْ دونه الشوامخُ إجلا لاً له إذْ له وقارُ السَّلاطين
يمتلى قلبُ مَن رءَاه سُرورًا وتُدلِّى له مُناه الأَفانين

الأرض والسحاب

إذا سحَّت سحابُ الله تَرى الأَرَضين تَهتَزُّ
ويبلُغُ حُسنُها أَقصاهْ ويَخلُف ذُلَّها العِزُّ

٩٧

الخيرى

أهدى لنا الخيرىُّ فى الرَّوضه	عَرف خُيور فيك مُبيضَّه
أصفَرُه الفاقِعُ مِن ذَهب	والأَبيضُ الناصِعُ من فِضَّه
والأَحمر الساطع وجْنَةُ مَن	أَغرى بكُل المبتَلى بعضَه
سرى إليه خِفيةً خَجلٌ	فعضَّه فى خدِّهِ عَضَّــه

الغزل

ليت شعرى

رحَّبت بى فى النَّوم ثُمَّتَ قالَتْ ... كيف أنت يا سَيِّدى وحبيبى
وأَبَاحتْنى مِن طُلاها عِناقًا ... وارتشافاً من ظَلْم ثغر شَنيب
ليتَ شعرى إن قدَّر اللهُ وصْلًا ... أيكونُ منها كذاك نَصيبى ؟

اهنأ بملك فتى

ماذا التهاجُر يامُنى القلبِ ... من غير ما جُرم ولا ذنْبِ
أَستَغفِرُ الله العظيم عَدا ... أنى أَحبُّك غـايةَ الحُبِّ
وتذلّلى لبديع حُسنِكم ... يا حُسن ذاك الفعل من صَبِّ
صِلْنى أَصِلْك ودَعْ مُعـاتَبتى ... وافلُل شَباةَ الذُّعر والرُّعبِ
ولتُطف من نار الصُّدود فقد ... أَفْنَى أُوارُ لهيبها قَلْبى
واهنأْ بِمُلك فتى أخى ثِقةٍ ... مُستَبْصِر بالطَّعْنِ والضَّربِ
ذى عِفَّة تَحمِيـه عِفَّتُه ... عن أن يجىءَ بفاحش نكبِ
أَزْرَى بمقْوَله ومَنْصِبـه ... (بابْنِ الحسين) (وعمرو ذى الكلب)[1]
وعليك ما غنَّت مُطوَّقَـةٌ ... أزكى سلامِى يا مُنَى القلب
أذكى من النَّسرين فى سَحَرٍ ... تُبْرِى روائِحُه من اللَّسب

كالبدر إلا أنه لا يغيب

أَشكُو إلى اللهِ السميع المجيب ... ما قد دَهَى قلبى المعنَّى الكئيب

---

(١) ابن الحسين هو أبو الطيب المتنبى وذو الكلب هو عمرو بن العجلان الهذلى شاعر مشهور كان له كلب . لا يفارقه فسمى به .

نارُ الهوى قد زلَّعتْ كبدى ... وقدَّنى البَيْنُ بسيف قَضيب
واستلَّ من جَفْنِى الكَرى وارتَدى ... لَوْنى بُرود الشمس عند المغيب
دعْنى لحاك الله يا عاذلى ... فلستُ أُصغى لِعَذُول مُريب
أَما تَرى السُّقْم بَرى أَضلُعى ... وخدَّد الخدَّين دمعى الصَّبيب
ما هــامَ مِثلى قيسُ ليلى بها ... ولا الفَتَى العُذْرىُّ عُرْوَ[1] اللَّبيب
ولا ابنُ زيدونٍ بــوَلَّادةٍ ... ولى مِــن العفَّة أَوْفَى نصيب
أَفْدى بِنَفْسى مَن به أُولِعَتْ ... مِن شادن يهْتَزُّ مِثْلَ القَضيب
مُنعَّم الأَطراف طَاوى الحَشا ... كالبَدْر إلَّا أَنَّه لا يَغيب
لَوْ أَبصَرَتْ عَيْنَاكَ صُورَتَه ... أَبصَرْتَ بَدْرًا فَوْق غُصْنٍ رطيب
قد سَطَّر الحُسنُ عَلَى وَجْهه ... بجُلَّنَــارٍ إنَّ ذَا لَعَجيب
جَرَّعَنى مِنْ بَيْنِه أَكْؤُساً ... من زَفَراتٍ وضَنىً ونحيب
فَصِرتُ مِن حَرِّ الجَوَى مُنْشداً ... أَشكُو إلى اللهِ السَّميع المُجيب

أشراك الأدب

رُبَّ مَن صَادَنِى وبَرَّحَ بِى ... صِدتُه بِالأَشْراكِ مِن أَدبِ
فَقَطَفْتُ الشَّقيق من وجهه ... واغْتَبقْتُ من فيه بالضَّربِ
وهصَرتُ من قدِّه غُصُناً ... مُثْمرًا بالهلال والشُّهُبِ
قال لى عندما ظفِرتُ به ... ونجَوتُ من لُجَّة العَطبِ
ما أُساوِى لَديك ؟ قُلتُ لهُ ... يا حياتى حُشَاشتِى وأَبِى

قد هوِيتُ :

ذاب قلبى من الصُّدود ولولا ... ما أُرجى من الوصال قضَيتُ

---

(١) مرخم عروة للضرورة .

ليت شِعْرى وهل يرقٌّ لِحالى مَن هَوِيتُ؟ فإنّنى قد هَوَيْتُ

ذا صبٌّ شج

يا مُثِيرًا فى حشَا الصَّبِّ الشَّجى نار وجدٍ بلِحاظِ الدَّعَجِ
كم تُبارى بصُدودٍ مَن غدا يرتجى فتْحَ رضاك المُرتجِ
وتُقــاويه بنيران الجَفَــا وبخَدَّيك نعيم المُهَجِ
لا تُعذَبْنى فإنى دَنِفٌ وغــرامى ثابتٌ بالحُجَجِ
ضُمَّ سقْمى لشحوبى واجعلَنْ شَغَفى أوسطَ ضرب مُنتِجِ
ينتج المطلُوب إن ركَّبتَه بين الأشكال : ذا صبٌّ شجِ

ذكرى

ولقَد ذكرتُك بالرُّبى من لَمطةٍ ونسيمُها يُهدى إلَىَّ أريجا
فاهتاجَ ريحُ الشَّوق بين أضالعى يُذكى لَظَى وجدى فأَجَّ أجيجا

فى سبحات الخيال بالجزائر

ذكرتُكِ والبَحرُ طلقُ المحيًّا علَى مَتْنِه رونقٌ وابتهاجْ
فاض سريعاً يحاكى فُؤَادى لأَمواجه لَدَدٌ وانزعــاجْ
ألا ليت شِعْرى أيجمعنــا بلدٌ لَه من سنَاكِ سِراجْ ؟

رقّ يا رضوان

هَلْ لِصَبٍّ من لَماكَ المُزْدرى بسُلافِ الرَّاحْ
رشفَاتٌ مُزجت بالسُّكَّرِ تمنَــحُ الأَفراحْ
مَرْويَّات عن صحاح الجَوهرِ عن مُنى الأَرواحْ

عن هلالِ الحسْن عن ظبي النّقا عن قضيب البَانْ
من جِنانَ الوصل دونيَ أَغلقا رقَّ يا رضــوانْ

* * *

وارثِ لى من ذا العَذاب الأَكبرِ فعَسى أَرتــاح
فعَلَى ذاك المُحيًّا الأَنورِ ذى السَّنا الوضَّاحْ
مِن شجٍ نشْرُ سلامٍ عَنْبَرى مَا انبَرى الإِصباحْ
وثنَتْ بـان الرُّبى كفُّ الصَّبا وشـدَا القُمْرى
وصبــا قلبي لأَيَّام الصِّبا رَيِّقِ العمــرِ

عهودُ الحمى

يا رعى اللهُ لَيالٍ قد خلتْ كلآلٍ فى سلُوكٍ من نُضَارِ
وعهودًا سلفت لى بالحِمى فسَقَى الوبلُ الحِمى غير مُضَارِ
حيث لا همٌّ ولا غمٌّ سوى رنَّة العود وكاساتٍ تُدارِ
من عُقَار كنُضَارٍ أُفرِغت فى أَباريق حكت شهْب الدَّرارى
علِّلُوا قلب الشَّجى من شُربها ما أُحَيلى الشُّرب من تلك العُقار
مع ظباءٍ كَلِفَ القَلبُ بهم سمحوا بالوصل من بعد نفَار
فى رياضٍ كزرابٍ نُمِّقَت بشَقيقٍ كعَقيقٍ وبَهَارِ
أَترى أَحظَى بوصلِ بعْدما بعدت من طاقتى تلك الدِّيارِ
فعلَى آرامها من مُدنفٍ شائِقٍ نشْرُ سلامٍ كالعَرارِ

على غـرار « ليل الهوى يقظان »

مَن علَّم الغِــزلان الفَتْكَ باللَّيث الجَرى

وسلَّط العَينَـــان(١) علَى قُلُوبِ البَشَرِ
يا ضَوءَةَ الشَّمسِ اللهَ فى الصَّبِّ الكئيبْ
يا مُنيـــة النَّفسِ هجْرك للنَّفْس مُذيبْ
حـــدِّثنى حَـــدْسى أَنَّكِ للُّبِّ سليبْ

* * *

بـأَسهُم الأَجفـــان	ذاتِ العذاب الأَكبرِ
مُصْمية الوَلْهـــان	بالدَّعـــج والحَـــوَرِ
ما ضرَّ يا محبُوبْ	يا هاجرى بلا ذُنُوبْ
لَو تُنْعش المطلُوبْ	بلَفْظِك العَذبِ الخَلُوبْ
بغَـــاية المرغوبْ	من وصلك المحيي القُلُوبْ
تذكَّر يا وسنَان	ياذا الرُّواءِ الأَنضَرِ
لَيالَى البُستـــانْ	تحت العَريش الأَخضَرِ
وأَنـــا فى نشوَهْ	من خمر ثغْرك النَّقِى
مهيِّـــج الصَّبْـــوَه	لِكل من لَم يعْشَقِ
لَم تعْرنا جفْـــوَهْ	تُثيرُ نار حرقى

* * *

مـــا بيننا ندمان	إلاَّ أَريج الزَّهَر
أَو نغْمةُ الـــورشان	على غصُون الشَّجَر
والبَدرُ من بعـــده	يرقُبُنا بكلِّ عيْن
أَرسلَ من وجـــدِه	عَيْناً علَيْنا الفرقدين
فخَـــاب فى قصْدِه	وخيْبَةُ الرُّقبان شَين

* * *

---

١) هذا على لغة من يلزم المثنى الألف فى الأحوال كلها ، قال : أعرف منها الجيد والعينانا .

والوُرقُ في الأَغصَان فاقت حنِين الوتر
بمُطرب الأَلْحــان عند الصَّباح المُسفِر
تثِير أَشــواقى بصَوتها المُبرى السَّقَمْ
قامت على ســاقِ إذ عنبرُ اللَّيل بَسَمْ
عن ثغْر أَشواقِ تشْدو بطيِّب النَّغَمْ

* * *

مَقَالَ ذى أَشجان حِلف أَسًى وضررِ
«ليل الهوى يقْظَان والحُبُّ تِرب السَّهر»

الهوى فضاح

وهذا التوشيح ينشد على قافيتين ويركب على صنعتين :

أَدِر الكاسات من خمر اللَّعسْ يالَها من راحْ تحكى الجُلَّنار
واسقِنيهَا خمرةً تجلُو النَّفسْ علَّنى أَرتاح من حرِّ الأُوَار
بأَبى ظَبْىٌ رمانى بسِهام ريشُها الأَهداب تبرى الأَفئِدَه
مزَّق القَلب الكئِيب المُستَهام إذْ رنا وانساب سيفٌ جرَّدَه
عنبرىٌّ الخَال مسكىٌّ الخِتام يُذهل الأَلْباب درٌّ نضَدَه
هِمتُ وجدًا من سناه المقْتَبسْ من سنَا الإِصباح أو بدرٍ أَنارْ
لاحَ حين افترَّ ثغْرٌ كالقَبَسْ أَزهرٌ وضَّــاح أَذكى زند نارْ

* * *

نرجسىٌّ اللَّحظ. وردِى الوجنتين بدم الأَكَبــاد آَزرت بالشَّقيقْ
بدرُ حسنٍ فوق غصنٍ من لُجَين مائِلٍ ميَّـــاد للبَــان شقيقْ
قد نَضَا نحوىَ سيف المقْلَتين أوهن الأَعضَاد واشتَدَّ الحَريقْ

عِيلَ صبرى فى هوى ظبيِ الأَنَسْ والحِجَا قد راح مذ شطَّ المزارْ
ورَذاذُ الدَّمع من عينى انبَجَس والهَوى فضَّاح لا يُخْفِى استِتَارْ

حِملُ الهوى

أَعدَّت نبَالاً للحشَا وهى أَلْحــاظُ لَها الهُدبُ ريشٌ والمحاجرُ أَرعاظُ[(١)]
وحيث سَبَتَه بالدَّلال سقَتْه من سلافة كاسات الهَوى وهى بُهَّاظُ
فهام فرام السَّتر إذ هاج فانْتشَى فناءَ به حملُ الهَوى وهو مُنهاظُ[(٢)]
فيالَك ممَّا يستلِينُ الذى قسَا وعِلِكُ طبع المرءِ والمرءُ جوَّاظُ[(٣)]
لىَ الله كم قلبى يذوبُ من الجَوى إذا عنَّ من بين الأَحِبَّة مغْناظُ[(٤)]
متى لاحَ برقُ الشَّوق فى سُدَف الحشَا أُتيح لأَجفان التَّولّه إيقَاظُ
أَرى أُمَّ أَوفى مُذْ وفى لى صرمها يسَاورنى أَيمٌ من الهَمّ جِنعَاظُ[(٥)]
إذا سامنى صبرٌ علَيها هنيئَةً ينضْنِضُ من وجد علىَّ ويغْتَاظُ
وإن شِمتُ برقاً للسُّلُوِّ عن الأَسى تأَوَّبنى منه كظَاظٌ[(٦)] وإغلاظُ
فلا يهْنأُ العُذَّال حادث بينها فإنى به كأْس التنعُّم لَمَّاظُ
أَراها إذا أَفنى نحيبى تأَلّى وأَذهلَنى عنِّى من الشّوق أَقياظُ[(٧)]
وفاظت[(٨)] دواعى الصَّبر عنها بُعَيدها وكلُّ دواعى الصَّبر بالبين فيَّاظُ
وصمَّ صدى الأَسماع عن هذر عُذَّلى فأَخفق عذَّالٌ لذاك ووعَّاظُ
نجيَّةَ أَفكارى تُحَدِّثُ لَوعتِى بما لا تعِى من مسند الوُدِّ حفَّاظُ

---

(١) جمع رعظ بالضم وهو مدخل النصل فى السهم .
(٢) منكسر ولم أجده بنشالة فيما بين يدى من كتب اللغة .
(٣) جاف متكبر .
(٤) من غنظه الأمر إذا جهده وشق عليه .
(٥) شرس الأخلاق .
(٦) تعب وشدة .
(٧) جمع قيظ وهو حرارة الصيف .
(٨) فاظ بالمثالة مات والمراد هنا ذهبت .

عليها كرياها تحيةُ ذى هوًى … لَه بين أكناف المحبَّة إلْظَاظُ.[١]
أُلِحُّ عليها ما حييتُ بذكرها … وإنى على عين الحياة لمِلظاظُ.[٢]

ما أنتَ أول عاذل

يا عاذلى ما أنتَ أوَّل عاذلِ … دعنى لَحَاكَ الله لَست بعَاذِلِ
لو كنت تعْلَم من أحِبُّ عذرتنى … لكن جَهِلْت فلمتنى بالباطِلِ
نفْسِى الفِداءُ لمَن بأسهم لحظِه … قَدْ قدَّ أحشَائى وليس بنابِلِ
ظبىٌ تملَّكنى وآسر مُهجَتِى … بجُفُونه الْمَلْآى بإثْمِد بابِلِ
يحكى مُحيَّاهُ وفاحم فَرعه … بدر الدُّجى لو كان ليس بآفِلِ
خفقَانُ قِلْبى أصلُه من قُرطه … إذ كان فيه مُعَلقاً بسَلاسِلِ

الخوخ فى الليالى

أفْدى رَشاً للوصالِ قالِ … ولستُ عن حُبِّه بسالِ
أغرَّ يبسِمُ عن لآلِ … ما إن له فى البهاء تالِ
كالخَوطِ والظَّبِى والهِلالِ … فى القَدِّ واللَّحظِ والجَمالِ
قال فأَضرم فى فُؤادى … نارًا لَظاها حشَاى صال
إذ قُلتُ صِلْنى حبيبَ قلبى : … «ياطالب الخَوخِ فى اللَّيالى »

حسبى الله

حكيتُ الخَيالَ بجِسمى النَّحِيل … وألبسنى الشَّوقُ ثوب الأَصيلْ
وأَسْلمنى للنَّوى شادِنٌ … يخُدُّ فُؤادى بخَدٍّ أَسيلْ
وجرَّعَنى البَيْنُ كأْسَ المَنُون … فحَسبِى الإلٰهُ ونعْمَ الوكيلْ

---

(١) إقامة ولزوم .
(٢) ملحاح .

حبٌّ درس

الحُسنُ فيكَ قدِ اكتملْ لو كُنْتَ تُوصفُ بالخَجَلْ
لكن سلكت سَبِيلَ مَنْ نبذ الوفاءَ وما احتفَلْ
غرَّرتني إذ زُرتني مِن غير وعدٍ أو أَمَـلْ
فظننتُ أنَّك صـادقٌ والصِّدق عنك قد ارتحَلْ
لم يبدُ بدرُ وصالكم لمحِبِّكم حتَّى أَفَلْ
وجَفَوتَه من غير مـا جرمٍ بجَانبكم أَخَلّ
كم حيلــة أبديتُها لرضاكَ ما نفَعَت حِيَلْ
وقَنِعْتُ منكم فى الصِّبا م بَةٍ بالتَّطَارح والغَزَلْ
فصَرمتَ حبل مودَّتى بمُدى القَطيعَــة والمَلَلْ
فالآن إذ حمَّلتنى فى الحُبِّ ما لا يحتمَلْ
وأَبيتَ إلاَّ أن ترى جسمى تُساوِرُه العِلَلْ
عزَّيتُ فيك تولُّهى وأَصخْتُ فيك لمن عذَلْ
ودَرستُ حبَّك من فُؤاَ دى مثْل ما درس الطَّلَلْ

إخلاف

عاهَدونا عَلَى الوفَاءِ فَخَانُوا فكأَنَّا على الخِلاف اصطَحَبنا
لَو عَلِمْنا اطراد نَقْضٍ لَديْهِم لا عتَمَدنا عكسَ المُرادِ فَفُزنا

عذل العاذلين كجهل الجاهلين

جاري بهذه الموشحة «قضت خمر الثغور، بفطر الصائمينا، وصوم المفطرينا»

قضَى صرفُ الدُّهور ببَيْنِ العَاشقينا وَحَيْن البائِنينا
وَرُبَّ فتًى يُهابْ جليـــل فى النُّفوس

يُذلِّلُــه السِّبابْ إلى ظَبْى شَموس
أَغَنَّ لَه رُضَــابْ أَلَذُّ من الشُّمُوس
بلَحْظٍ ذى فُتُور يَــرُوعُ الآمِنينَا ويَسْبِى الناسِكينا

أَلا بأَبى سَنيعٌ(١) بديعٌ فى الصفَاتْ
لَهُ صَبَغ النجيــعْ خــدودًا مُذْهَبَــاتْ
يسِيغُ بها الخَليعْ كؤوسًــا مُتْــرَعَاتْ
تُنْشِــطُ لِلسُّرور وتُسلى الوالِهِينَــا برغمِ الحاسدينا

فكاسَــاتُ الحُمَيَّــا براحــات الغَــوانى
وتَوريــدُ المحيَّــا وترديــدُ المَـثَانى
وســاقٍ كالثُّـرَيَّا تُسَــلِّى كلَّ عــانِ
وتَدعُــو لِلحبُور وعــذلُ العَاذلينــا كجَهْلِ الجَاهِلينا

قصاراه زفير

نَسِيمَ الصَّبا بَلِّغْ تَحيَّةَ مُدْنِفٍ إلَى مَنْ به حِلْفُ الكآبةِ مُولَعُ
فإِنْ قَال مَا حَالُ المُحِبِّ فَقُلْ له بعَادُك أَضْنَى قَلْبَه فَهْوَ مُوجَعُ
قُصارَاهُ إِنْ شَبَّتْ لَظَى الشَّوْقِ فى الحَشَا زَفِيرٌ تُلَبِّيهِ عَلَى الفَوْرِ أَدْمُــعُ

ما صَدَفَ عن سبيل الملاح

إِنَّ الذى حازَ مُهْجَتِى شَغَفَا مَنْ لَجَّ فى هَجْرِه وَمَا عَطَفَا
سَدَّدَ نَحْوِى سِهَامَ قَوْسِ جَفَا حَسْبِى الإِلٰه مِن الجَفَا وكَفَى
إِنْ كانَ أَبْهَجَنِى غَداة وَفَا فكَمْ بَرانِى النحِيبُ حِينَ جَفَا
سَلَّمَهُ الله لاَ أُعَاتِبُــه فَعَنْ سَبِيلِ المِلاحِ مَا صَدَفَا

---

(١) الجميل البين والمفاصل اللطيف العظام .

ولا سَخِطْتُ الذى رَمَانِى به ... وإنْ كَسانِى السَّقَام والدَّنَفا
لكنْ نَفَثْتُ الغَرامَ مُسْتَشْفِياً ... فإنَّ فى نَفْثِ ذِى الغَرام شِفَا
سَأَسْأَلُ الصَّفْحَ عَن جِنَايَتِه ... إنْ صِرتُ مِنْها علَى شَفِير شَفَا
وأَطْلُبُ الصَّفْوَ مِنْ رِضَاهُ فَقَدْ ... جَنَيْتُ مِن غَرسْ هَجْره التَّلَفا
يا غُصنُ يا بَدْرُ عَطْفَةً وَسَناً ... يَا ظَبْىُ يا شَمْسُ خِلْقَةً وصَفَا
أَصْلَيْتَنِى بالصُّدُود نَارَ أَسًى ... هَبْ لى مِن الوَصْل رَوْضَةً أُنُفا

وارحمة للعاشق

مَنْ لى بِأَحورَ فَاتِرِ الأَحداق ... قَدْ صِرتُ عَبْد جَمالِه الرَّقْرَاقِ
ظَبْىٌ تَملَّكنِى بسِحْرِ لِحاظِه ... لا عَن مُبايَعة ولا اسْتِحْقَاقِ
بدْرٌ مَطالِعُه قُلوبُ ذَوِى الهَوَى ... رِئْمٌ ثَوَى بِأَضَالِع العُشَّاقِ
هَاجَتْ به زُمَرُ الأَنامِ فمَا لمَن ... أَصْمَتْهُ أَسْهُم لَحْظِه مِن رَاقِ
كتَبَتْ بَنَانُ الحُسْن فى وَجَنَاتِه ... وَارَحْمَـــةً لِلْعَاشِقِ المُشْتَاقِ
قُمْ فاسْقِنِى صِرْفَ المدام وَغَنِّنِى ... وَاصْدَحْ بذِكر جَمالِه يَا سَاقِ
وأَعِدْ على سَمْعِى سَلِمْتَ مِن الضَّنا ... مَنْ لى بِأَحور فَاتِرِ الأَحـــداقِ

بين الوصل والصد

برُوحِى مَن أَوْدَى بعَقْلِىَ حُبُّه ... ولَمْ تُسْلِنِى عَنْه كُؤُوسُ رَحِيقِ
يواصِلُنى حَتَّى أُفِيقَ مِن الجوَى ... ويَهْجُرُنى حَتَّى أَغَصَّ بريقِى
غدَوْتُ به مِن وَصْلِه وَصُـــدُودِه ... بدَارِ نَعِيمٍ أَو عذاب حَرِيقِ

الشوق لا يدريه إلاَّ اللهُ

يا دَارَ مَن أَهْوَى رَعاكِ اللهُ ... وتَفَجَّرتْ بريَاضكِ الأَمواهُ

وغدَوْت فى حُلَل النَّضارة تزدَهى   وهَفَا علَيْكِ مِن الصَّبَا أَنداهُ
ما كانَ آنق نُزْهةً سلَفت لنا   برُباكِ إذْ بَرَقَ المُنَى شِمْنَاهُ
والدَّهر سالَمنا وفلَّ شباتَه   عنْ حَرْبنَا وأَحِبَّتى ما تَاهُوا
والأُنس يَنْظِم شَمْلَنا فى سِلْكِه   والوَصْل صَافَح يَمْنُنا يُمنَاهُ
فى جَنةٍ ما كَانَ أَلْطَف نَشْرَها   حسَدَتْ عليه أُنوفَنا الأَفْواهُ
ماسَت لدانُ غُصُونها لَمَّا شدا   شحْرُورُها النَّشْوَانُ واطرَبَاهُ
وتَبَسَّمَت أَزْهارُها لمَّا بَكى   فيها الحيَا هَمَّالةً عَيْنَاهُ
أَفْشَت نَواسِمها سَرَائرَ نَوْرِها   للهِ سِرُّ النَّوْر ما أَفْشَاهُ
والرَّوْض مُبْتَهِجُ الأَصائل والضُّحَى   سقْياً لِذاك العَصْر ما أَحْلاَهُ
ما كانَ إلاَّ رَيثما انْتَعَشَت به   أَرْوَاحُنا حتَّى اسْتَردَّ سنَاهُ
واغْتَالَنا صَرفُ الحوادِث بالنوى   عجباً لهذا الدَّهْر ما أَجْفَـاهُ
آهٌ لِمَا أَلْقَاهُ مِن وَجْدى علَى   ما قد مَضَى لوْ كانَ ينْفعُ آهُ
يا لَيْت شِعْرى والمُنى عَيْنُ العَنا   والمَرءُ قد يحظَى ببَعض مُنَاهُ
أَيَرُوض خصْبُ الوَصل بُسْتَانَ المُنى   فلَطَالما مَحْل النَّوى أَذْوَاهُ
لَوْما الذى أَرجُوه مِن جمع على   دَعةٍ قَضَيْتُ كآبةً لَوماهُ
ما إن تَزَالُ سَحائبٌ كمدامِعى   تسْقِى مَنَازل أُنْسِنا ورُبَاهُ
وتَحيَّتى مَوصُولَةً كمَودَّتى   تتْرى إلى مَن فى الحَشَا سُكْنَاهُ
كنواسِم العَهْدِ الذى مِن طِيبِه   تُذكى سَعِيرَ أَضالعى ذِكراهُ
فبلابلى مِن بُعْدِهِ مَوقُودَةٌ   والشَّوْقُ لا يدْرِيه إلاَّ اللهُ

شؤون وشجون

أَهاجَكَ بَيْنُهُمُ إذْ نَـــأَوْا   وَطَىٌّ الوِصَال الذى قد طَوَوْا

وتَوْديــعُ صَبْرِك إذْ وَدَّعُــوك ... وتَفْطِيرُ قَلْبِك لمَّا نَـأَوْا
وشاقَك أُنْسُهُم بالِلّــوى ... ومُنْعَرَجِ النَّهْر حَيْثُ انتَدَوْا
ونَيْلُهُم بَيْن مَهْفَى الشَّمال ... ومَهْفَى الصَّبا فى الصِّبا ما اشْتَهَوْا
وعِقْــدُ المُنى غَيْرُ مُنْتَثِرٍ ... وسَعْدُك دَانٍ بما قَد دَنَوْا
عفَا اللهُ عَنْهُم ونَصَّرَهُمْ ... كَما عَنْكَ يَوْمَ اللِّقا قَدْ عَفَوْا
حَلَتْ لكَ أَيَّامُهُم بالعُــذَيْب ... وَمِن نُكْبَةٍ قد خَلَوْا فَحَلَوْا
شَوَوْا وُدَّهُم لكَ حَتَّى صَفَا ... ومَا رَمَّدُوا بالجَفَا مَا شَوَوْا
وعَاطَوْكَ كَأْسَــهُ مَمْزُوجَــةً ... بمَــا مِن عَظِيمِ السُّرور عَطَوْا
وأَجْنَوْكَ رَوْضَــةَ وَصْلِهِمُ ... بمَا مِن ثِمَارِ المُنَى قَدْ جَنَوْا
رَعَى اللهُ عَهْدَهُمُ بالرِّيَاض ... كما عَهْدَ حُبِّيَ فِيها رَعَوْا
وأَيَّامَ أُنْسٍ لَهُمْ بالحِمَى ... حَمَوْا مِن سُرُورِى بها مَا حَمَوْا
لَيَالِيَ يُبْهِجُنِي جَمْعُهُمْ ... ويُونِقُنِي لَهْوُهُم إذْ لَهَوْا
ويُبْرِئُ قَلْبِي مِن سُقْمِــهِ ... بلَسْعِ الأَسى شَدْوُهُم إن شَدَوْا
وَأَبْنِي مِن الشِّعْرِ نَظْماً أَنِيقاً ... يُنَسِّى الرُّوَاةَ الذى قَدْ رَوَوْا
سَقَاكِ الحيا يَا عُرُوش النَّقا ... فَفِيكِ سَقَوْنِى الذى قَدْ سَقَوْا
ويَا مُلْتَقَى النَّهْر والمُنْحَنَى ... أَلاَ اسْلَمْ فَفِيكَ عَلَيَّ حَنَوْا
ويا نَفْحَةَ الرَّوْض طِيبِى بهِمْ ... فإنَّهم قَدْ زَكَوْا وذَكَوْا
أَلاَ نَفْحةٌ مِنْ رُبَى وَصْلِهِمْ ... تُبَرِّدُ مَا بالنَّوَى قَدْ كَوَوْا
أَلاَ عَطْفَــةٌ لأَسِيرِهِمُ ... أَلاَ رَحْمَــةٌ لِلَّذى قَد سَبَوْا
سَلامٌ الإله وَرِضْــوانُه ... يُؤمُّــانِهِمْ حَيْثُما قَد ثَوَوْا
ولاَ زَالَ شَوْقِى لَهُمْ صَاعِدًا ... كَــزَفْرَاتِ قَلْبِيَ يَوْمَ نَـأَوْا
ولاَ زَالَ وُدِّى لَهُمْ تَنْتَهِى ... نُسَيْمَاتُه الغُــرُّ حَيْثُ انْتَهَوْا

مسارحُ الأشواق

صاحِ مَاذَا التَّوانى عَن مُراد الأَمَانى فى أَصِيلٍ مُعَصْفَر الأَرْدَانِ

فالعَشَا يَا مَسارح الأَشْواقِ

وحُلاَهــا مَطارِحُ الأَحْـداقِ

كَمْ بها مِن مَصَارِعِ العُشَّاقِ

شَوَّقَتْ كُلَّ عَان لِمغَانِى التَّهانِى وَحَبِيبٍ قَدْ جَلَّ عن نُقْصانِ

لَيْس يُنْبِى عَنْ حَالِهِ تَشْبِيهُ

إنَّما يَرْتَقِى لَهُ التَّنْزِيــهُ

عَنْ سِماتِ مَن شَأْنُه التَّمْويهُ

مِنْ بَعِيدٍ ودَانِ مِنْ حِسَانِ الزَّمان وحِسَانٍ فى غَابر الأَزْمــانِ

فإِلَيْــه انْتَهى جَمالُ الصُّورَهْ

وعَلَيْــهِ زُهْــرُ الحِلَى مَقْصُورَهْ

وبأَسْــرارِ ذَاتِــه مَحْصُورَهْ

جَلَّ عَمَّا نُعانِى مِنْ بَدِيعِ المَعَانِى بغَرِيب الأَلْفَاظِ والأَوْزَانِ

علِّلُونى

عَلِّلُونى بالوَصْل قَبْلَ المَمَاتِ وبذِكْرى أَيَّامِنــا السَّالِفَاتِ

إِذْ ضَرَبْنا لِلأُنْس أَطْناب لَهْوٍ بَيْن تِلْكَ الرِّياض والجَنَّاتِ

إنَّ فى ذِكْرِها الْتِذَذًا لِمَن أَمْ سى حَلِيفَ الأَشْوَاق والزَفَراتِ

يا رَعَى اللهُ لَيْلَ وَصْلٍ سَحَبْنا فيــه ذَيْلَ السُّرور وَاللَّذَّاتِ

مَعْ فتَاةٍ كَأَنَّها الشَّمْسُ حُسْناً ذَاتُ دَلٍّ فَيَالَها مِنْ فَتَاةِ

بَيْنَ أَدْواح رَوْضَةٍ رَاضَها اللَّ هُ بسَحِّ السَّحائب الهَاطِلاَتِ

أَرِجَ المُزْنُ نَوْرَها فَأَتَتْنا الـ ... رِّيحُ مِنْه بِأَعْطَرِ النَّسَماتِ
هَتَفَتْ وُرْقُها بِأَفْنَانِها المُلْـ ... ـدِ النَّشَاوَى فَأَشْبَهَتْ قَيْنَاتِ
بَاتَ يَحْدُو بِنَا الحُبُورُ وبِتْنَا ... نتعَاطى لَذَائِذَ الرَّشَفَاتِ
خَمْرَةً أَطْفَأَتْ لَهِيبَ فُؤَادى ... نَقْلُها وَرْدُ رَوْضَةِ الجنَّاتِ
إنَّ فى رَشْفِها شِفَاءً لِمَن قَدْ ... قَرْطَسَتْه العُيُـونُ باللَّحظَاتِ
لَم نَزلْ نَقْطِفُ المَسَرَّةَ حَتَّى ... نَشرَ الفَجْرُ فى الدُّجَى رَايَاتِ
وشَـدَا طَائِرُ الصَّباح فَقُمْنَا ... وَفُؤَادى يَذُوبُ مِن زَفَراتى
مَنحتْنى عِندَ الوِدَاع عِنَاقاً ... فحَكَيْنَـا تَحَالُف اللاَّمَاتِ
وَمَضَتْ والفِرَاقُ يَنْحُتُ قَلْبِى ... ونَجِيعِى يَسِيلُ فى عَبَراتى
لَيْلَتِى غُلَّتِى اشْتَفَتْ فِيك لَوْ طُلْـ ... ـتِ كَما كُنْتِ قَبْلُ فى الحَسَراتِ
قَدْ طَوَتْكِ أَيْدى السُّرورِ وَقِدْماً ... نَشَرَتْكِ الشِّدَادُ مِنْ غَمَراتِ

حنين

صَبَا نجْدٍ أَلاَ هُبِّى علَيْنا ... فَإِنَّ لَنَا عَلَى مَسْراكِ دَيْنا
فَرُبَّتَما بَرَدْتِ غَلِيلَ صَبٍّ ... يَحِنُّ إلى بُثَيْنَةَ أَوْرُدَيْنا
أَجِدَّكِ هَلْ رَأَيْتِ ولَنْ تَرَيْها ... بُدُورًا كَانَ مَطْلَعُهُمْ لَدَيْنا
سَمَوْا صُعُدًا إلى مَهْفَاكِ شَوْقاً ... إلَيه فَاسْتَراحُوا واكْتَوَيْنا
فَهَلْ شَاهَدْتِ طَلْعَتَهم فَتَدْرى ... بِأَنَّ نَواهُمُ مَا كَانَ هَيْنا
وهَلْ آنَسْتِ شيْئاً مِن حُلاهُم ... فلاَ تَزْرِى علَيْنا إن بَكَيْنا
لَئِن سَارُوا بِأَقْمار الدَّياجى ... وكَانَ السَّيْر لِلأَقْمار زَيْنا
لَقد أَسْلَوْا[1] وحَقِّهمُ علَيْنا ... بِبَيْنهمُ المُذِيب الصَّخْر حَيْنا

---

(١) أغروا وأثاروا .

وله هذا التخميس وقد اقتُرح عليه بالجزائر :

جلَّ مَن أَنْشأَ ظَبْياً أَهْيَفا　　زَادَ قَلْبِى فى هَواهُ شَغَفا
اصْطَفَاهُ الحُسْنُ مِن أَهْلِ الصَّفا　　(من عَذِيرى مِن غَزالٍ مُصْطفَى
قد جَفَا عَيْنِى الكَرى لمَّا جَفا)

قـدَّ جِسْمى وَبَرانِى حبُّـه　　ورَمَتْ قَلْبِى المُعَنَّى هُدْبُه
بُعْدُهُ دَائى وَطِبِّى قُرْبُـه　　(لَيِّنُ العِطْف ولكن قَلبُه
قَد قَسا حَتَّى حكَى صَلْدَ الصَّفا)

وله تخميس آخر :

صَبرْتُ لِلصَّدِّ حتَّى عِيلَ مُصْطَبَرِى　　وضِقْتُ ذَرْعاً بمن أَرْبَى على القَمَرِ
لَجَجْتُ فى حُبِّه فلَجَّ فى ضَررِى　　(مَن مُنْصِفِى مِن سَقِيمِ الجَفْنِ ذى حَوَرِ
رَكِبْتُ بَحرَ الهَوَى فِيهِ علَى غَرر)

أَسْتَغْفِرُ الله قُلْتُ قَوْلةً عظُمَتْ　　جَاشَتْ بها لَوْعةُ الحُبِّ الَّتِى اضْطرمَت
بَلْ مَالِكِى عَادِلٌ حَالى به انْتَظَمَتْ　　(ظَبْىٌ لَه صُورةٌ فى الحُسْن قَد قُسِمَتْ
بَيْن الكَثِيب وبَيْن الغُصْن والزَّهَر)

يا صُورةً علَّهـا الحُسْنُ وأَنْهلَهـا　　لَوْ أَوْ ردَتْ مُهْجةَ اللَّهْفان مَنْهلها
ما كَانَ أَجْملها ما كَانَ أَكْملَها　　(آلَتْ لَواحِظُهُ أَن لا يَعيشَ لَها
صَبٌّ ولَوْ أَنَّه فى قَسْوة الحَجر)

الرثاء

قال يرثى سيدة من أقاربه :

هِىَ الدُّنيا يغرُّ بنا سنَاها	فنأْمنُهــا فيفجَأُنا دُجاها
تُعلِّلُنا بإدراك الأمانى	ولا ينفَكُّ يرشُقُنا رداها
فلو أنَّا عقلنــا ما لَهَوْنَا	بما أَبدتْ إلينا مِن حُلاها
ولــكنَّا أَضرَّ بنا هواها	وأَردانا التنافُس فى خَلاها
أَنلهُو والردَى فينا مُقيمٌ	أَعدَّ لنا نِبالاً قد برَاها
ونرجُو الخُلدَ فيها والمنايَا	تُدير على أَحبَّتِنا طِلاها
وتفجَعُنا برُزْءٍ إثْرَ رُزءٍ	على أَنَّا ستطحَنُنا رحَاها

* * *

سقَى الرحمانُ قبرًا ضمَّ شخْصاً	تَسَرْبَلَ بالمكارم وارْتَداها
ونضَّرَ مضجَعاً لِفتاة صِدْقٍ	حوَى غررَ الفَضائل إذْ حَواها
لقد كانتْ تَحُضُّ على المعالى	وتَندُبُ للمكارم مَن أَباها
وقد كانت بأُفْقِ الفضلِ شَمْساً	فَحطَّتْها المنيَّةُ عن ذُرَاها
وأَلبَسها المنُونُ مُلِى كسُوفٍ	فهلاَّ فضلُها الوافِى حَماها
فكمْ أَحيَتْ مَواهِبُها كئيباً	أَحلَّتْه النوائبُ فى حِماها
وكم ربَّتْ بأَنعُمِها يَتِيماً	قَلَتْه أُمُّه حتى سَلاَها
لَئِن ماتتْ فما ماتتْ حُلاها	وإن أَودَتْ فما أَودَى عُلاها
فقد أَبقَتْ مَآثِرَ مُشْرِقاتٍ	تُخبِّرُ عن عُلاها فى نَواها
ومَن يُنجبْ بمثْلِك يا ابْن عمِّى	فقَد ذخَر المحامِدَ واقتَناها

تَجلَّدْ واحتَسِبْ واصبِرْ لِتُعطَى أُجُورًا لا يُحاطُ بمُنتَهاها
ولا تَحزَنْ فإنَّا عن قَريب سَيَسْقِينا الرَّدَى مما سقَاها
جزَاها اللهُ خيرًا من حَصَان وقدَّس رُوحها وسَقَى ثَراها
ولا زَالتْ جِنَانُ الخُلد تُهْدى إليها مَا تَأَرَّج مِن شَذَاها

وقال يرثى الإمام أبا على اليوسى رحمه الله :

يا جميلَ الصبر لَبِّ مَن دعا قبل أن يقضىَ ممَّا فجَعَا
لبِّ شخصاً جَزِعاً مِن مَوْتِ مَن ذابَ من خشية ربِّى جزَعا
واحتسِبْ يا طالبَ العِلم امْرأً ماتَ فيه العلمُ والدِّينُ مَعا
واقتصِرْ واللهِ ما يلقَاكَ مِن أَحدٍ قد سَدَّ منه موضِعَا
أَقصدَ اليُوسى سهمٌ مِن ردى أَثكلَ العالَم فيه أَجمعَا
ضَعْضَعَ الموتُ الإمامَ الأَرْوَعا أَىَّ رُكْنٍ لِرَشادٍ ضَعْضَعَا
حجَّ منه بيتَ علم إِثْرَ مَا حجَّ بيتَ الله بَرًّا أَوْرَعا
وسِعَتْ حُفرةُ قَبرٍ ضيِّق مَن لخلق الله طُرًّا وَسِعَا
ضاقتِ الأَرضُ بنا وهى التى رَحُبتْ لمَّا نَعاهُ مَن نَعَى
فتَصامَمْنا وهَيْهَاتَ فَما يَنفَعُ المُثكَلَ أَلاَّ يَسمَعَا
بأَبِى مَن زار قَبر المُصطفَى بعْدَ ما طافَ ولَبَّى وسَعَى
وانْثَنَى تكنُفُه أَنـوارُه ثُمَّ ما سَلَّم حتَّى ودَّعا

وقال :

مات الحفيظُ فمن يحفظُ مَن عاشا مِنَّا إذا لُبُّه مِن الجوى طاشا
مات الحفيظُ فظلَّ المجدُ مُختَبلًا وأُرعِشَتْ كبِدُ العلياءِ إرعاشا

مات الحفيظُ وكان العيش منه سَنِي فأَغطَشت عيشَنا الأَنكادُ إغطاشا
وبَطشت بالنُّهى أيدى النَّوى بُتِكَتْ إن النَّوى كان بالأَلباب بَطَّاشا
كانتْ بطلعته الأَيامُ تُونِسُنا فأَبدلتْنا من الإِيناس إيحاشا
وأَلبَستْنا وكان الزّهو مَلبَسُنا حُزناً يهيجُ لنا مَبكًى وإجهاشا
يا بَدْر مَجْد لو ان الله أَنسأَهُ ما أَدهَشَتْنا صُروفُ الدهر إدهاشا
قد جَلَّ فقدك أَن يُبقِى مِن خَلَدٍ إذْ جلَّ قدرُك أَن تَرَضى بمن عاشا
وجلَّ فخرك أَن يُدرى فنُحصِيَه حاشا لفخرِك مِن إحصائنا حاشا
فما عَرفناك إلاَّ بالذى شَهِدَتْ به المزايا وفضلٌ كان جيَّاشا
ومــا رأَيْنَاك إلاَّ مثل رُؤيتنا شمسَ الظَّهيرة إذْ ما نُورها جَاشا
ومــا شهِدناك إلاَّ بالبصائر لا ببَصرٍ يُدرك الأَخْيار أَوْ بَاشا
خمَّشتُ بعدَك وجْهَ المنعِ مِن جَزَعٍ إذْ كان موتُك وجْهَ الصبر خمَّاشا
أَفْرخْتُ ما باضَ مِن همٍّ وقد مَلأَت عِقبَانُه مِن ذُرى الأَحشاءِ أَعشَاشا
بالبوحِ بالنَّوْح ترويحاً على شجَنٍ قد أَمجَشَتْ نَارُه فى القلب إمْجاشا
معتصماً ببقايا الصَّبر مِن كمَدٍ أَودَى بمُعظَمه إذا الحشا حَاشا
فالمرءُ سَهْمٌ وذاك السَّهمُ حِلْيَته بأَن يُرى بَخوافِى الصبر مُرتاشا
فإن رمتْه اللَّيالى وهْىَ رَاميةٌ لم يُلف عن هدَف التَّأْييد طيَّاشا
أَمَّا الذى سوف أُهدِيه إلى جَدثٍ حَللتَه تُنعش الأَمواتَ إنعاشا
فنَسماتٌ تحياتٍ يغارُ لهــا روضُ الرُّبى باتَ فيه الطَّلُّ رشَّاشا

وقال فى رثاء الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسى رحمه الله :

مات الرضَى شيخُنا الفاسىُّ مصطَحِباً لِلسَّرو والصَّوْن والتَّأْييد فى الطَّلبِ
مات محمد المحمودُ سَائِرُه إذْ سائِرُ الناس مَعلُولٌ مِن الرِّيبِ

مات الصَّدوقُ الأَمينُ البَرُّ مُعْتزلاً ... مَن كان نَامُوسُه فى الخَبِّ ذَا خَبَبِ
مات فأَحْيَا عظيمَ الحُزن أَعظَمُ مَن ... أَماتَ كُلَّ دَواعِي اللَّهْو واللَّعبِ
مَن للمعارف يُحيِيها وقد دَرَستْ ... مَن للَّطائف يُبدِيها وللنُّخبِ
مَن للحقائق يُنشيها مُحقَّقَةً ... مَن للرَّقائِق يُمليها بلا تعبِ
مَن للنَّـوادر يَحكيها مُحبَّرة ... مَن للدَّواوين يُقريها وللكُتُبِ
لم يَحتَسِب بعدك الباقُون فى تَعَب ... مِثلَك فى حَسَب يا خير مُحتسَبِ
ولن يُصابوا برُزْءٍ مثله أَبدًا ... يا خير مُنقَلِبٍ لخير مُنقلَبِ
هل أَنتَ ذاكِرُنا عند الإِله ومَا ... خِلنَاك تَنسَى فمن تذكُرْه لم يَخبِ
فبينَنَا رَحِمٌ يرعَى أَذِمَّتَها ... مَن قد رعته عيونُ المجد والحسبِ
وبيننا سبَبٌ يُبقيـه مُتَّصِلًا ... من وصَلتْه العلا بأَوثَقِ السَّببِ
وأَنتَ ذاك فما أَعرِفُ مثلك فى ... ما قلتُ بالحقِّ فى نبْع ولا غرَبِ
بل أَنتَ سيدُ أَهل العصر قاطِبةً ... أَنشأَكَ اللهُ للتَّفريج لِلكُربِ
وللذى تَاهَ فى الأَوهام تُرشِده ... بهَدْى مُحتسب لاهدى مُكتَسِب
وللذى نامَ فى العِصْيان تُوقِظُه ... بعـزم مُنتَسِب للحق مُنتَصِبِ
وللذى اعتاصَ من مَعنًى تُوضِّحُه ... حتى يَصير سنًى فى عَيْن مُرتقبِ
فرُبَّ بكر من التَّأْليف مُؤْتَلِف ... جلاَّه فوق مِنَصَّاتٍ من العجبِ
واهاً لما فتَح (الحصْن الحصِين[١]) به ... مِن شرحه فانتهى للمعقِل الأَشِبِ
أَبقَى له حُللَ التقريظ رائقةً ... فى زِىٍّ مِرْطٍ مِن العِقْيان مُنسَحِبِ
فطيِّب الرَّوح بالرَّيحان مُعتضِدًا ... رُوحاً له بغُرور العيش لم تَطبِ
ولازمتْه تَحيَّاتٌ نواسِمُهـا ... تحيا بهـا أَريَحيَّاتٌ من الطربِ

---

(١) الحصن الحصين كتاب فى الأدعية المأثورة لابن الجزرى وقد شرحه المرثى بشرح قيم .

وقال راثياً إحدى السيدات :

سقى أمَّ العلاء وبنتَ مجدٍ سحائبُ رحمة نشأت بحمدِ
بحَمْد النَّاسِكين لها على ما حَوتْ مِن خَصلَتَى نُسكٍ وزُهدِ
ومن عَطْفٍ ومَرثِيَةٍ لِخَلْق إذا مـا أَزمةٌ طرَقَت بجَهْدِ
وذاك الزُّهْدُ ليس له نظِيرٌ لأَن الجدَّ جادلها بجِد
فـأَمكَنَها وواصلَ كلَّ وصْل فأَعيَتْـه وصدَّت كلَّ صَدٍّ
وقد برزَتْ لها الدنيا قديماً بزى مُحَرِّقٍ عمرو بن هِنْدِ
فما مـدَّتْ إليها عَيْنَ وُدٍّ نعم مدَّت إليها عيْن نَقْدِ
فأَبصَرت المنـايا فى مُناها وكُلَّ هباتِهـا بظُروف ردِّ
فما قَبِلتْ لها هِبـةً هواناً لها وتَقَذُّرًا لِعطاءِ مُكْدِ
حِلَى مَن أُلبِس التَّقوى رداءً له مِن مُلحِم التوفيق مُسد
ولم يَركَن إلى أَصل وفَرْع وعزَّة والـدَيْن وجَاهِ وُلْـد
على أَن لم تُعاشر غير أُسْد وغير أَسـاودٍ فتكتْ بـأُسْدِ
وربَّتهـا لُيوثُ وَغًى وربَّت شُموسَ ممالك ونُجومَ سعدِ
وقد زَادتْ بمن ولدت عَلاءً فما وقَفتْ بمن ولَدتْ بحَد
بحـدٍّ سيادةٍ معه انتِهاءٌ لِجُملتهـا بحَزْر أَو بعَد
ومـا اتَّكلتْ على ما أَسَّسُوه من المـأْثُور من حَسَبٍ ومجدِ
وما اغتَرَّتْ بِما اعتزَّتْ أُناس به مِن سُودَدٍ لأَبٍ وَجَدٍّ
ولكن شمَّرت لأَجلِّ ذُخْرٍ تحوزُ به المَدَى عن ساق جِدٍّ
فما يُدرى لها ثَلْمٌ بغَربٍ يُوهِّنُهـا ولا صَدأٌ بحدِ
وقد سَعِدت فكان لها اتِّعاظٌ بمـن شَقيَتْ على صَعَر بخد

كذاك وما استكانَتْ حيث كانَت | على إ حــال لِذى حَلٍّ وعَقْدِ
فلا بَرحتْ هباتُ الله جلَّتْ | مواهبُــه تهُبُّ لها بلَحدِ
ولا عَدِمتْ بمــا وجَدتْ سَبيلاً | إلى الخيرات رَوْح جنان خُلدِ

وقال :

ذَوَى خَضِرُ الأَفراح مُنْذُ ذَوى الخَضِر | عليكَ سلامُ الله يا عَيْشَنا النَّضِر
فلَمْ أَحمَد الدُّنيا بلا نُور أَحْمَد | وهَلْ يُحمد الليلُ البَهِيمُ بلا قمر
ذوَى فذَوتْ آمالنا جلَّ ما ذَوَى | وكانت به الآمال يانعة الزَّهَر
على قَبْره قَبْرِ المكارِم والعُلا | سلامٌ سليمٌ مِن شوائِب مَن غدَر
فإن فاتَنا تأْخيرُ وقتك فليكن | لنا منك فى التَّقديم أَجْرٌ ومدَّخر
وذاك على قــدر المصيبة إنَّها | وحَقِّك أَدهَى ما أُصيب به بَشر
سنَصْبِر حَتَّى يجمعَ الصَّبر بينَنَا | وفى الصَّبر لو يُقضَى به خير مُفْتَخر

وقال راثياً الأَمير زيدان بن السلطان مولاى إسماعيل :

أَغــدت زيادتُنا إلى النُّقصانِ | أَم نَقصُنا قد صار لِلرُّجْحانِ
أَم كان كلٌّ منهما فى حَقِّ مَا | جلَب الأُجُورَ وفَادِحَ الأَشجانِ
الأَجرُ والوجدُ العظيمُ هما معاً | قد أَوْقَفانى مَوقفَ الحيْرانِ
فإن التَفتُّ لِذَا عرفت بهاءَهُ | وبَقاءَهُ لــولا غُلُوُّ الثَّانى
فإذا ركنتُ له وذلك غايتى | سالتْ غُروبُ الدَّمع مِن أَجْفانى
وصرخْتُ مُحترقاً وصِحتُ مُولَّهاً | يا دمعُ زِدْ سيْلًا على زَيْدانِ
زَيْدانَ نجلِ أَبيه سِرّ مليكنَا | شمس الملوك الباهِرِ السلطانِ
زَيْدانَ زيد الخيل والفُرسانِ | والخير خيْر المُفضِل المنَّانِ

وأَبِى الثَّناء الحُرُّ يُنبتُه له حَقْلُ السخاء بوابل الإِحسانِ
نبكيه مِلْءَ عُيُوننا وقُلوبنا نبْكيه بالإِسرار والإِعــلانِ
نبكى السَّخِى بكلِّ مَضْنُونٍ به نبكى المُهين العَيْنِ لِلأَعْيانِ
نبكى المُعظَّم أَجْرَ كل مُؤَمِّلٍ لعطــائه ذى الوابل الهتَّانِ
نبكى الشريفَ المحضَ كلُّ خِلالِه جلَلٌ وكل شُؤُونه ذُو شَانِ
نبكى عُلاَه وما لنا مِن طاقَةٍ توفى عُــلاه بُكاءَها ببيَان
نبكيه تَبْرِيدًا لِحرٍّ قُلُوبنا بمُحبَّرِ الأَلحــان والأَوزانِ
ونَقُول إِثْر تَنَهُّدٍ يُقرى الجوَى طلَباً لما يُرضِيه مِن رِضْوانِ
أَهدَى الإِلهُ إِليكَ كل تحية محفُوفــةٍ بالرَّوح والريْحَانِ
وهفَتْ عليك نواسِمُ الغُفران تُزْجى لك الرَّحمات مِن رحمانِ
وبكى عليْك الفضلُ حقٌّ بُكائه والفضلُ من يَبْكيه ليس بفَانِ

النصائح

حبل الدنيا رث

حبلُ الدُّنا ، يا مُبتَغِيه رَثُّ
والذلُّ فى اطِّلابها مُنبَثُّ
قل للذى أَغراه فيها الحَثُّ
ونال منه وعْثُها[١] والحُثُّ[٢]
مُذْ بانَ عنه وعْثُها[٣] والحُثُّ[٤]
معْ أنه يكفيه فيها الحُثُّ[٥]
سمينُها عند الإله غثُّ
وشَهدُها ما فيه إلاَّ الجثُّ[٦]
وأَبواهـا ذِلَّـةٌ وخُبثُ
وأَخَـواها تعبٌ وبثُّ
كمْ باحثٍ أَضْناه فيها البحثُ
وراغثٍ عدَا عليه الرَّغثُ[٧]
مَن لم ينَلْها إذْ عـلاَه اللَّهْثُ
فربَّما قضى عليه الجَوْثُ[٨]

---

(١) الطريق الوعر .
(٢) اليابس الخشن من الرمل .
(٣) المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام .
(٤) المترقرق من الرمل والتراب .
(٥) الخبز القفار .
(٦) خرشاء العسل أى ما مات من النحل فيها .
(٧) الرغث الرضاع ، ورغث كمنع .
(٨) الفزع أو الغضب أو الطرب وهذا هو المناسب هنا .

إن نِيل منها بعد كدٍّ نَفْثُ
عاجَلَه من الهموم بَعْثُ[١]
سيّان فيهـا والمآلُ فَرْثُ
مَن قُوتُه مَنٌّ بها أَو فَثٌّ[٢]
ومَن لَديه نَعَمٌ وحَرْثُ
ومَن دهاه كسبُه والحرْثُ[٣]
ومَن عدَا على يدَيْه النَّبثُ[٤]
لأَنَّها ليس لَدَيْها لَبْثُ
ولا يُطالُ فى ذراهـا مَكثُ
فسَيَرِثُ شَقُّهَا والكثُّ
ويُختَلى طِباقُها[٥] والشثُّ[٦]
ويَنقضِى ذُكرانُهـا والأُنْثُ
والموتُ كُلَّ مَن بها يجُثُّ
والمُنتَقَى مِن بَزِّهم يَرِثُّ
ثُمَّتَ تَعْثُو فى حلاه العُثُّ[٧]
أَيْن أَبُونـا آدمٌ وشِيْثُ
وكلُّ من هو لِوَحْيٍ حِدْثُ[٨]
أَين الأُلَى على الرشاد حَثُّوا

---

(١) جيش .
(٢) الفث شحم الحنظل وقابل به المنّ الذى هو كالعسل .
(٣) جمع المال وتحصيله كالكسب .
(٤) النبش ، والمراد الجد فى الطلب .
(٥ و ٦) نوعان من الشجر ومعنى يُختلى يقطع .
(٧) جمع عثة : الأرضة تلحس الثياب .
(٨) حسن الحديث كثيره .

وأَظهَرُوا أَسرارها وبَثُّوا

وفسَّرُوا عَويصَه ونَثُّوا

وأَعذَرُوا إلى الأُلى أَغثُّوا[١]

أَين الأُلى علي الدُّنا أَلَثُّوا[٢]

فارتَحلُوا وما بها أَلثُّوا

بل حملتْهُم للمنُون دُلْثُ[٣]

ثم استَرَدَّهُمْ إليه الجِنْثُ[٤]

وهو التُّراب كنَّهم فَرَثُّوا

فلِحُلاه بحُلاَهم غَلْثُ[٥]

ولَهُ بالفُروث مِنهم غَيْثُ[٦]

وَسَيُجمِّعُ الجميعَ البعْثُ

وللشَّدائِد هُنَاك كَرْثُ[٧]

يا ليْت شِعرى وذُنُوبِى شَعْثُ[٨]

والفِعلُ والقولُ ذَمِيمٌ غَثٌّ

أَلِىَ من حرِّ السَّعِير وطثُ[٩]

ومن عظِيم ما حمَلْتُ جَأْثُ[١٠]

وعن موارد النَّجاةِ رَبْثُ[١١]

---

(١) أتوا بغث الحديث أى فاسده .

(٢) الحوا والثانى بمعنى أقاموا .

(٣) النوق السريعة : جمع دلاث .

(٤) الأصل وأصل الإنسان من تراب كما قيل وهو التراب .

(٥) خلط .

(٦) لث كما يلث السويق .

(٧) إساءة .

(٨) منتشرة .

(٩) ضرب شديد .

(١٠) ثقل وشدة .

(١١) منع وحبس .

وبعِصِيٍّ الهالِكين وَلْثُ(١)
أَم بالرِّضى والعَفْو قد أُحثُ(٢)
فلِي إذْنٌ إلى الجِنَان نَقْثُ(٣)
وفى حِياضِ المُبْهَجِين مرْثُ(٤)
ومن قُطوف الخالدين دأْثُ(٥)
وبمنَادِيل النَّعِيم مَثٌّ(٦)
رُحماك قد جَنَى علىَّ الرَّفثُ
ولى بأَضغاث الضَّلال ضبثُ(٧)
وزندُ رُشدى ما سلاه علثُ(٨)
فلِلسَّــداد بالفساد عَلْثُ
فإن تُواخِذْنى فَصُنعى كَثٌّ
وإن يكن لى فى رضاك مغْثُ(٩)
فالعفُو يا ربِّ لديك جِنْثُ
حاشاك أَن يمنَعَ منه هيثُ(١٠)

---

(١) ضرب .
(٢) أى أعامل وهذا لازم معانى مث .
(٣) إسراع .
(٤) من مرثه فى الماء أنقعه .
(٥) أكل .
(٦) مسح .
(٧) ضرب والأضغاث حزمات من الحشيش .
(٨) علث الزند واعتلث لم يور ، فمعنى ما سلاه لم يفارقه الخبو وعلث الثانية بمعنى خلط كعلث المتقدمة .
(٩) غرق .
(١٠) إعطاء الشىء اليسير .

أصلح بين نفسك والسجايا

أَقولُ لمن يصيخ إلى اصطِراخ فخَيْرُ القَول يَرسَخُ فى الصِّماخ
لأَمر الله ربكَ جلَّ فاقصد أَجلُّ النَّاس مَن للأَمر وَاخ (١)
وأَصلح بين نفسك والسَّجايا م التى تُرجى النجاةُ بها وآخ
توقَّ الشرَّ لا تضرِم لَظَاهُ فشَرُّ النَّاس مَن للشرِ ساخ (٢)
وعِرضك كُن به أَبدًا ضنيناً أَخسُّ الخَلق مَن بالعرض ساخ
سخاءَك إنَّ عِرضك ليس ينقى وَبَذْلُك لا يُجيبُ أَخا اصطِراخ
وبالتَّقْوى على الأَزمات تقوى فأَهون بالرِّجال بلا طُبَاخ (٣)
ولا تشمخ بأَنفك يا ابن طينٍ فبيسَ المرءُ شخْصٌ ذُو جِفاخ (٤)
وأَنضج ما رأَيت بنــار فكرٍ فإِنَّ الأَكل من بعد اطِّباخ
وفكر فى انتهاءٍ فى ابتداءٍ وشاورْ ذا الدَّهاء لَدى التِخاخ (٥)
فإن أَبدى السداد سراجُ ذهنٍ فأَخوفُ ما يكون من التَّراخى
ودينك لن يزينكَ غيرُ دين فراعِ تكن لأَنف الخُسْر لاخ (٦)
وذيلَ مُروءَةٍ فاسحب وجانب تعش برًّا مــودة ذى انتفَاخ
وبالإِغضــاءِ فاقتنص المزايا عن العوراءِ فهو من الفخاخ
وبالعلم انتهج سُبلَ المعالى فإِنَّ ظلامَ لَيل الجَهل طاخ
تعفَّف فالعفافُ أَجلُّ حليٍ إذا ما الفَقْر عمَّك بالنضاخ (٧)

---

(١) قاصد من وخى الأمر قصده .
(٢) موقِد .
(٣) بلا فائدة .
(٤) كبر وفخر .
(٥) اختلاط الأمر واشتباهه .
(٦) مسعط .
(٧) من نضخ النبل و بالنبل فى العد وفرقها .

ووفر ماءَ وجهك لا تُرقهُ ... ترد ماءَ المَحامد ذا انتِضاخٍ [١]

لَعرقُوبٌ يُجيءُ الشرُّ يومــاً ... لِمُخَّتِــه فيمرى بامتخاخٍ [٢]

أخفٌّ على الفتى من عرف فدمٍ ... يمنٌّ على الوضوخ[٣] من النُّقاخ [٤]

ورَبٌّ الكوخ والقصر المعلى ... سواءٌ والزَّمــانُ إلى انسلاخٍ

وبيض السرِّ لا تُفرخهُ يوماً ... فشرٌّ السِّر سِرٌّ ذو فِراخٍ

ولا تخضم[٥] لخلقٍ قطُّ عرضاً ... فيَبقَى العرضُ مِنك بلا اتِّساخ

وسُم أفراسَ صبرك بارتياضٍ ... وسُم أضراس غدرك بامتِلاخٍ [٦]

وأَعــدد للزَّمان لباس بأْسٍ ... وكُن فى النَّاسِ صَقْرًا فى الأَراخِ [٧]

ووافقهم ورافقهم ولكن ... مُرافَقَــةَ البَيَادِق للرِّخاخِ

وبالله استعِن واستَغْنِ عنهُم ... يحن رأسُ المذلَّة بانشداخ

وحُكمهم انبُذُنَّ فكلُّ حُكمٍ ... لهم يجرى على أَيدى انفساخٍ

يذُمُّــون الفقير فإن أَتاه ... غنًى أَطرَوهُ بالقول الجُلاخِ [٨]

ويُطرون الغنىَّ فإن تردَّى ... بفقر فهو مهجُورُ المُناخِ

فكن بالله ربِّ النَّاس طرًّا ... فغير الله ظِلٌّ ذو انتِساخٍ

وأَقدامُ افتقار الخلق فيه ... لبارِئهم ـ عَلاَ ـ ذاتُ ارتساخٍ

---

(١) من نضخ الماء اشتد فورانه من ينبوعه .

(٢) العرقوب من الرجل معروف ، ويجىء من أجاءه إذا ألجأه ، والمخة القطعة من المخ ويمرى يستخرج ، والامتخاخ إخراج المخ من العظم ، وهذا مأخوذ من قولهم فى المثل: شر ما أجاءك إلى مخة عرقوب يضرب عند طلب المعروف من اللئيم لأن العرقوب لا مخ له والناظم قطع النظر عن المثل وجعل امتخاخ العرقوب أخف من رجاء الفدم . وكان فى الأصل « نعرقوب » ولله كم نعانى من أمثال هذا المسخ فى النسخة التى بأيدينا .

(٣) الماء فى الدلو إلى نصفها .

(٤) الماء البارد الصافى .

(٥) الخضم القطع والأكل بمنتهى الأضراس .

(٦) امتلخ الشىء اختلعه وانتزعه .

(٧) جمع أرخة وهى بقر الوحش وكأنه يريد معنى هذا البيت :

نحن بزاة الطير لا نصاد ... من رام صيداً فينا يصطاد

٨) من قولهم : سيلٌ جلاخ ، أى كثير .

فلا تُسند لغير الله نفعــاً تصن رأس اليقين من امتصاخ[١]

وطلِّق بنتَ ضيركَ أمَّ دِفرِ يُطلِّقك الهوانُ بلا تَراخِ

ولا تحلُلْ محلاً فيه لُؤمٌ فعذبُ الماءِ يأْجنُ فى السّباخِ

ودونَكَ فاقتبس منها عُلوماً ودَع شِعرًا يضاف إلى قُلاخِ[٢]

وزِنهــا بالمُنظَّمِ من كلام تجِدها كالغِناء مع الصُّراخِ

لتَنجذّنى مكرُ اللئام

ألاَ قُل لمن يبغى إلى العز منفَذا إلٰهك فاذكرُ دائماً ودَعِ البَذا

ولا تَشْتَرى الدُّنيا بدينك ساءَ مَن يبيعُ بأَفلاذِ الزُّجاج زُمُرُّذا

وقُلْ للعُيون النَّاظرات لها امرهى[٣] وبالجَدِّ لا بالكدِّ كُن مُتلوِّذا

وقُلْ للدَّنايا خامرى[٤] أمَّ عامِر فلَن تجدى عندى لأَخذِكِ مأْخذا

وإيَّاك والقَدْمَ الخَسِيسَ فجافِه تجِد بَعْده طَعْم الحياة طَبرزَذا[٥]

فإنك إن لَم تَتَّئِد يُدنِك الخَنا ويُلْبِسْكَ من نسج المذلَّة مِشْوَذا[٦]

تعمَّم بعزٍّ وهو صبرٌ وعفَّةٌ فأَخيبْ لمن بالذُّل يوماً تشوَّذا

وصَدِّق بفضْلٍ ذا تقُولُ تكُن فتىً فَأَغبَى الورى مَن كانَ منهم مُطَرمِذا[٧]

ونفْسَكَ جاهِدْها إذا ما تمرَّدت وإلاَّ يَجدْ سهمُ الرَّدى لكَ مَنفَذا

ووَفِّر ببذل الوَفر عِرضَك مِن أَذًى وذُدْ بالسخاءِ الذَّمَّ عنك وأَشقِذا[٨]

ولكن بقَصْد واجتِناب تَبذُّر وإلاَّ فقَد تُبلى وَلاَ تُلفِ مُنقِذا

---

(١) من امتصخ الشيء : انتزعه من جوف شيء آخر .

(٢) قلاخ : لقب لعدة شعراء .

(٣) مَرهت عينه فسدت وابيضت أجفانها من ترك الكحل .

(٤) أى استترى ، وأم عامر الضبع ، ويضرب بها المثل فى الحمق لأنها تسمع اللدم فتبرز طمعاً فى الصيد فتصاد .

(٥) الطبرزد : السكر .

(٦) المشوذ العمامة ، وتشوذ تعمم .

(٧) الذى يقول ولا يفعل .

(٨) أشقذه : طرده .

وجنِّب بنى الدنيا يُجنِّبْك كَيْدُهم فسلْ عن أَ ذاهم أَحوذيًّا مُجرَّذا[١]

فسِل عن بنى الدُّنيا عليماً بحالِهم تَمَعْدَدَ فيهم بعْد ما قد تَبَغْدَذا[٢]

لنجَّذنى [٣] مكرُ اللِّئام وكيدُهم وما الكيدُ إلاَّ ما أَخا العِلم نجَّذا

وأَرْهَفَ سيفَ اللُّب رِبذةُ[٤] خَبِّهم وأَعظم بِخَبٍّ كانَ لِلُّبِّ مِشحذا

ولا سيَّما مَن يدَّعى العلم منهم أُولٰئِكَ كلٌّ فى حمى المكر هَربذا[٥]

إذا أَبصَروا شريانَ فَقْرِكَ نابِضاً قَلَوْكَ وإن كنتَ العليمَ المَنجَّذا

وإن هُمْ رأَوْا للقَدم وفرًا تَساقَطُوا عليه وكانُوا بالحِمَى منه لُـوَّذا

فإن شئْتَ أَن تَبقَى قَذًى فى عُيُونهم فغمِّض عُيُونَ الصَّبر مِنكَ على قَذًى

فمن لَمْ يُكابِد حِرَّةً[٦]تحت قِرَّةٍ لَهُم يُمسِ فى أَرض الهوان مُنبَّذا

وإن سرَّك المَحيا ونارُ قُلُوبِهم تَسَعَّرُ من وَجْدٍ سِبابَهُمُ انبُذا

لَتَرْكُ سِبابِ النَّذْل كانَ أَمضَّ مِن أَحدِّ الظُّبَى وقعًا عليه وأَنفذا

تعوَّذ بحبل العِلم والحِلم والتُّقى تَبُذَّ الذى بالغَىِّ منهم تَعوَّذا

ولا تَلْتَفِتْ منهم لمدح ولا هِجا فذَمُّهم مدحٌ ومَدْحُهم بَذا

ولا تكُ حُلْوًا تُستَرط بحُلُوقهم كما لا تكُن مُرًّا فتُلْعَق وتُنبَذا

وجاهِدْهُم بالله ربِّك وحدَهُ تَدُس خدَّ مَن يبغى عليك مُفخِّذا[٧]

فخُذْها تهادى فى مُلاءَة حِكمةٍ وكُن للذى وشَّت يداها مُنَفِّذا

ترى العزَّ يجْتاحُ الهوانَ بعضْبِه إذا طَمَّ سيلِ العِزِّ صمَّ صَدا الأَذى

---

(١) الأحوذى : الكيِّس والمجرذ المجرب المحنك .

(٢) أى افتقر بعد الغنى .

(٣) هو كقول سحيم : أخو خمسين مجتمع أشدى ونجذنى مداورة الشؤون
أى علمنى وهذبنى .

(٤) الربذة : خرقة يجلو بها الصائغ الحلى .

(٥) مشى الهربذة : وهى سير دون الخبب .

(٦) هو من قولهم : رماه الله بالحرة تحت القرة ، يعنى : أعطشه زمان البرد .

(٧) فخّذهم تفخيذاً خذلهم وفرقهم .

الموت أفنى القُرون

قُل لِلَّذى لا يَنْتَهى عن فُحشه ... أَأمنتَ مِن مَكرِ الإله وبَطْشِه
أَمْ أَنتَ من غرض المَنُون بمَعْزلٍ ... لَم تكترث بسهامِه وبنَجْشِه[١]
كلاَّ لقَدْ أَصبَحْتَ فى لهَوات ما ... أَفنَى القُرونَ الماضيات بدَبْشِه[٢]
وعَــدا على عَادٍ، وشدَّاد ولُقْـــمان وأَرْدَى نَسْرَه فى عُشِّه
وابنَى بغيضٍ رضَّ كابنَى وائِلٍ ... وعديدُهُم فاق الحصَى فى فَرْشِه[٣]
من كُلِّ مَن ملأَ المَلا من ماله ... إِذ ضاق واسعُ فرشه عن فرشه
طحَنَتْهُم أَضراسُه طحْنَ الرَّحى ... مرَّتْ على يَبِس الحَصِيدِ وهَشِّه
لم تَبق واستَفْسِر شُهودَ الحس من ... أَسد إِذا ركِبَ المَطَا من هَشِّه[٤]
ومُقَلَّد بالمكر خبٍّ حُوَّلٍ ... يسبى العُقُول بظاهرٍ من هشِّه
وممنَّعٍ بجُنودِهِ وبُنُــودِهِ ... شقِيَتْ عِداه بجَيشه وبجَأْشِه
ومُروَّعٍ ومُصــدَّعٍ ومُلَفَّعٍ ... بالهَمِّ أَضناهُ الزَّمانُ بنَهْشِه
ومُتيَّمٍ بحليلــه وضليله ... صبٍّ بما أَبدى الهوى من رَقْشِه
ومُذَمَّمٍ جادَتْ يداه بعِرضِه ... إِذ ضنَّ ممَّا قد حواه بقَمْشِه[٥]
ومُؤَدَّبٍ ومُهذَّبٍ ومُشَذَّبٍ ... علاَّمة رَوْض الرَّشاد محشِّه[٦]
ومُمجَّدٍ ومُنجَّــدٍ ومسدَّدٍ ... مجذامة مُفْنِى الفَساد مجشِّه[٧]
لَم يبقَ من آثارهم إِلاَّ سُمَى ... مَن قد سما عن خُبثه أَو فُحشه
أَو ضُرِّه أَو غدْره أَو شَرِّه ... أَو مَكره أَو كيده أَو غِشِّه

---

(١) بحثه وسرعته .
(٢) الدبش الأكل .
(٣) الفرش الفضاء الواسع والفراش والزرع وصغار الإبل وهو فى هذا البيت بالمعنى الأول وفيما يليه به وبما بعده .
(٤) فرسه .
(٥) بجمعه .
(٦) المحش المكان الكثير الحشيش .
(٧) المجش الرَّحى .

أَو هَمْزِه أَو غَمْزِه أَو لَمْزِه — أَوْ رجزِه أَو رجسه أَو نجشه

من فاضِلٍ عمَّ الورى بنواله — لم يـألُ فى صيد الثناءِ وحَرشِه[١]

أَو عادِلٍ ليسَتْ تلينُ قنَاتُه — جاثٍ على كُرسى الصَّواب وعَرشه[٢]

أَو عالمٍ طلعَتْ شُموسُ علُومه — من تحت كُرْسِىٍّ الرَّشاد وعَرْشِه

أَو شاعرٍ رقَّت حواشى طبعِه — ينحاشُ عن وحَش الكلام ووَخشه

أَو صابرٍ فى النائبات مُرَزَّءٍ — ثبتٍ على كدْش الزَّمان وخَدْشِه[٣]

أَو عابدٍ يُنضى مطيَّة ليله — ونهاره حَادى النشاط بكَدْشِه[٤]

فبسيرهم سِرْ ساحباً بُردَ التُّقَى — إن شِئْت تُوقَى مِن عَنَاك وكدْشِه

والبَسْ جلابيبَ العَفاف ورَيْطه — وانقُشْ عفافَك بالحياءِ ووشِّه

و إذا افتقَرتَ فلا تَكن مُتخَشِّعاً — وصُن امتِهانَك بالوقار وغَشِّه

واللهَ خَفْ وارجُ رضاهُ وبطشَه — واركَبْ مطا دُهْم السَّداد وبُرْشِه

أَجدِرْ بمَن يرجُو ويخشَى الله أَن — يرقى إلى غُرف الجِنان بنَعْشِه

واشكُر إلٰهَكَ دائماً فالفوْزُ فى — شكر الإله على سحائب نَعْشه[٥]

الأيام أراقم

ومـا هذِه الأَيَّامُ إلاَّ أَراقمٌ — وإن برزَتْ فى زِىٍّ زُخرفها الغَضِّ

يعالجُ منها المرءُ كيدَ مُنافِقٍ — تُريه ابتساماً وهْىَ تَغْلى من البُغضِ

كما اخرَنْبَق الأَفعى لينباع دَفعَةً — فلا تحْسِبَنَّ الأَيـم أطرق من غضِّ

ويُعلم ما فى طبْعِها بامْتِحانها — كما يُدرَك الداءُ الدَّفين من النَّبضِ

---

(١) الحرش يستعمل غالباً فى صيد الضب .

(٢) العرش سرير الملك وسقف البيت وركن الشيء وهو بهذين المعنيين فى البيت الثانى .

(٣) الكدش الجرح — والخدش أثره .

(٤) الكدش هنا بمعنى السوق والطرد ، وفى البيت الثانى بمعنى السعى للكسب .

(٥) مصدر نعشه بمعنى جبره وأقامه .

لُذْ بالذى يشكيك

لُذْ بالذى يُشكيكَ إن تشْكُ ولَهُ التصَرُّفُ جلَّ والمُلْكُ
والنَّاسُ كلٌّ طوع قُدرته سِيَّان فيها العبْدُ والمَلْكُ
وعليه فاعتمدن أخا ثِقَةٍ إن مسَّك الإِقواءُ والنَّهكُ(١)
وإذا افتقرتَ فلا تَحُم أبداً حَوْلَ الذى بقَضائه يُشْكو
وكُن الغَنِىَّ بما لَدَيهِ ترِد صفْوَ اليقين وينتف الشَّكُّ
واحمده فى سِرٍّ وفى عَلَنٍ حَمْدًا يطيبُ بعرفِهِ المِسكُ
واشكُره إن أسدى إلَيك يداً تنل الغِنى ويَعُلَّك النُّسْكُ

(١) الإقواء والنهك من عيوب القافية ومعناهما الفقر والجهد .

الإخوانيات

رسالةُ شوقٍ

كتبْتُ وبي وَجْدٌ يهيجُ تذكُّرى ... على طِرس كافُور بحبْر كعَنْبرِ
ونمقْتُ أَسْطارًا على ظهر مُهرقٍ ... كما رَاقَ تطريز بثَوب مُحَبَّر
لمَن غاضَ صَبرى مِن نواه وهزَّنى ... إلَيـــه اشتِياقٌ كالقَنا المُتأَطِّرِ
ومُوجِبُه إهداءُ أَزكى تحيَّةٍ ... إلَيكُم كعَرف النَّدِّ ضاع بمجمرِ
تمُرُّ على رَوضٍ أنيقٍ وتنثَنِى ... تهُبُّ بِأَنفاسٍ كريًّا اليَلَنفرِ
فتُعربُ عن شوقٍ ثوى بأَضالعى ... وعن كبِدى الحرَّى وطرفى المُسهَّرِ
وإنى وإن شطَّ المَزارُ أَحبَّتى ... صفاءُ ودادى لم يُشَبْ بتكدُّرِ
أَحِنُّ وأَصبُو كلَّ حينٍ إليكمُ ... وأُمطرُ دَمْعاً كالغَمام الكَنَهْورِ
أَجُودُ به كيما يُبردَ لوعتى ... فيَضْرمُها مِثْلَ الجَحيم المُسَعَّرِ
عسى مَن قضَى بالبَين يجمَعُ بيننا ... وينظمُنا فى سِلك عِزٍّ مُوَزَّرِ
فنمرحُ فى أَكناف عيشٍ مُنعَّمٍ ... ونسرحُ فى رَوض السُّرور المَنَضَّرِ
ودُونك مِنِّى حُلَّةً عبقريَّةً ... معطَّرةَ الأَذْيال حُفَّت بجوهرِ

جوابٌ

أَتانا النَّظمُ يبهجُ كاللَّآلى ... تَرُوقُ بجيد رَبَّاتِ الحِجَالِ
تحدَّانا بمُعجزهِ خبيرٌ ... بأَسرار البلاغة والكمالِ
فما أَحلى العِتابَ به ولكن ... مضَمَّنُه يُعدُّ مِن المُحالِ
معاذَ الله أَبخَسُ حقَّ خِلٍّ ... يمُتُّ إلىَّ بالسِّحْر الحلالِ

وبالمولى أبى الحسن المعلَّى — علىٍّ ذى المَناقِب والخِصال
فكونُك مِن ذرا الأَحباب قاضٍ — علينا فى الإخاء بالاتِّصالِ
أَلست مِن بنى تِطوانَ مَن قد — عُنِيتُ بحُبِّهم مُنذُ الفِصالِ
عليهم ما هَفَا ريحُ الشَّمال — سلامٌ تستمدُّ به الغَوالى
خصوصاً شيخنا ربَّ المعانى — أَبا حسن عليًّا ذا المعالى
فشُدَّ يد الضَّنين على ودادى — فقَلبى مِن ودَادِك غيرُ سالِ
ولكن لم تُساعِدنى اللَّيالى — لِما يُرضى الإخاءَ مِن الوِصالِ
وسامِح ما تضَمَّنه قريضى — من المعنى السَّخيف بالارتجالِ
فشعْرى من بديع القول خالٍ — وفكرى بالبلاغة غيرُ حالِ

تسليةٌ عن دخول السجن

نُوَبُ الدُّنى قد أَرهَقَتْكَ سِهامُها — لا تجْزَعَنَّ فما يَطُولُ مُقَامُها
ما إن يشينُكَ بل يزينُكَ خَطبُها — إنَّ البُدورَ يزينُها تَغيامُها
هوِّن عليك فما حبست لريبةٍ — إنَّ اللُّيوثَ مقرُّها آجَامُها
حجَبُوا سنامَرْآكَ عن حَدق الورى — كيلاَ يضيرك نَبلُها وسِهامُها
أَو ماترى الأَطيارَ يُتْرِكُ وَخْشُها — هملاً ويُقْنَصُ وُرقُها ويَمَامُها
فى سِجْن يُوسفَ للمبرَّإِ أُسوة — فهُن(١) الخطوب يهُن عليك مرامُها

همنا بشعرك

أَجاب بهذه القصيدة صديقه الأَديب أَبا الحسن على مندوصة و كان كتب له بنظيرتها :

قسماً بمَن بالصدِّ قد أَضنانى — وسقَانِ كاساتٍ من الهجرانِ

---

(١) فيه استعمال اللازم محل المتعدى .

وغدَا يمزِّقُ مُهجتى بلحاظِه | وكسانِ ثوبَىْ ذِلَّة وهوانِ
ما أَنت إلاَّ حائزٌ خَصْلَ العُلا | متقلِّدٌ بــلآلئ التبيانِ
يا ابْنَ الأُلى همعَت سحابُ أكفِّهم | وتوشَّحوا بمُثقَّف المُرَّانِ
وعَدَوْا على الأَبطال فى صَهَوَاتِهم | ونموا إلى عدنان أَو قحطانِ
مِن كُلِّ قرمٍ باسلٍ يومَ الوغى | بادى الشُّرور إذا التقى الجمعَانِ
هِمْنا بشِعْرك بل بسِحْرك فانثَنَتْ | أَلبَابُنا سَكرى بخمر بيانِ
ما شِئْتَ مِن لفظٍ أَرَقَّ مِن الهَوى | وأَلذَّ فى الأَسماع مِن عِيدانِ
وبديع مَعْنى كالنَّسيم لَطافةً | أَحلى مِن الرَّشفاتِ مِن غِزلانِ
ما البُحتُرى وأَبُو فراسٍ والبَهَا | بأَرقَّ مِنك ولا الفتى الهَمْذانى
حُزتَ البَراعَة واليَراعة والعُلا | وسَبَقْتَ فى مِضمار هذا الشَّانِ
وإليْكها تُسدى إليك تحيَّةً | أَذكى شذًا من نفْحة البُستانِ
ما اهتاجَ قُمْرىٌّ بأَفنان الرُّبى | وتمايَسَت هيفاً غصونُ البانِ

رعى الله أحباباً بتطوان

قالها فى التشوق إلى تطوان ومن بها من الأَحباب وخاصة الأَديب أَبا يعقوب الشويدرى :

قفَا حدِّثانى عَن مغَانٍ وأَربُعِ | بجزع النَّقا بين العِضابِ فأَنقَعِ
فبانة جَرعاءِ الحِمى فظِبَائه | فآرامِه اللاَّتى رتعْن بأَضلُعى
وعن ذى حبَاب بالرِّياض مُسَلْسلٍ | يسيعُ[1] كما انساب الحَبابُ بأَجرعِ
فشبِّه به والشَّمسُ راقَ أَصيلُها | جُمانــاً على سَيف بتِبْر مُلَفَّعِ

---

(١) يسيل ويجرى .

سَقَى مرتع الأَحباب ديمةٌ واكفٍ ... وهَلْ غير أوطان الأَحبَّة مَرتعى
وإنى وإن أمسَيتُ فى فاسَ ثاوياً ... لِتطْوانَ آمالى وفيها تولُّعى
دِيارٌ أَناخَ الحُسْنُ فى عرصاتها ... وأَرخَى على أَرجائها كلَّ بُرقُعِ
إذا نفحَت من جانب الجَوف نفْحَةٌ ... تسيعُ على خدِّى مذانِبُ مدمَعى
حنِيناً إلى تِلك الأَباطِح والرُّبى ... وشوقاً إلى ذاك الجَمال المُرفَّعِ
رَعَى الله أَحباباً بتطوان كلَّما ... ذكرتُهُم اهتاجَت شعائِلُ[1] أَضلُعى
أَأَحبَابنَا فيها هل الدهرُ سامِحٌ ... بلقْياكُمُ قبل الحُلُول[2] بشرجعى
وهل لِىَ فى الكيتان نُزهةُ وامق ... عسى أَشتَفِى من لَوعتى وتفَجُّعى
فيا نهَر الكيتَان جادَتك ديمَةٌ ... من الوابل الهَتَّان غير مُصَدَّعِ
ويا منزلَ الأَحباب لا زلت آهِلًا ... بأَهل العُلا تزهُو بكلِّ سَميدع
ويا جُملة الأَحبَاب منِّى عليكُمُ ... سلامٌ كأَنفاس العبير المُشَعْشَع
لئِن فرَّق البَينُ المُشِتُّ انتِظَامَنَا ... ببين فما وجدى عليكُم بصَعْصَعٍ[3]
شَكِعْتُ[4] بلَيل الهَمِّ حتَّى تقرَّحت ... مآقِى وأَجفانى لِطُول توَجُّعى
وضَعْضَاعُ[5] جِسْمى ضَعْضَعَتْه بلابلى ... وشوقى إليكم ثابتٌ لم يُضَعْضَع
سأَبكى لِشَعْشَاع الغَرام الذى هوت ... مطالِعُه أَو ينزف الوَجْدُ أَدمُعى
وأَصبُو إلى أَهل الصَّفا كلَّما هفا ... نسيمُ الرُّبى فى نفْحة وتضَوُّعِ
إلى حيثُ ماءُ المكرُمات مُسلسَلٌ ... ونَهْرُ النَّدى فى جريةٍ وتصيُّعٍ[6]
ورَوْضُ المُنى فى عطْفةٍ وتهدُّلٍ ... إلى حيثُ دُرُّ النَّظم غيرُ مُضَيَّعِ

---

(١) جمع شعيلة وهى النار .
(٢) الشرجع : النعش .
(٣) زائل متفرق .
(٤) شكع المريض أن وضجر .
(٥) الضعضع والضعضاع الضعيف من كل شىء .
(٦) تصيع الماء اضطرب وهاج .

وحيثُ أَبو يعقُوبَ بحرُ بلاغةٍ ... لهُ لُجَجٌ يَشْتاقُها كلُّ مُنْقَع (١)
هُمامٌ به تِطوَانُ زَادَت محاسِناً ... ولِمْ لا وقد أربى على كلِّ مصطع (٢)
فلا زَالَ فى أُفق البَلاغة كوكباً ... يُصيبُ بشُهب الشِّعر كل هملَّع (٣)
عليه سلامُ اللهِ ما قال نازحٌ ... قفَا حدِّثانى عن مغَانٍ وأَربُعِ

مراجعة

يا أَخى الصَّالح(٤) الكثير السِّباقِ ... فى مَدى حائزى المَعانى الرِّقاقِ
أَطْرَبَتْنى أَلْفَاظُكُم وقديمــاً ... أَطْرَبَتْنى نفَــائِسُ الأَعلاق
أَعجَبَتْنى أَبياتُكُم وقديمــاً ... أَعْجَبَتْنى جــواهِرُ الأَطواقِ
ضاع قُسط السَّلام مِنها وقد أَحْـ ... ـرقَه نَارُ مِجْمَرِ الأَشــواقِ
وأَثارتْ ما لَم يكُن عِلمَ اللَّـ ... ـهُ لِيُخْمَد مِن لَهيب اشتِياق
غير أَنى نَسيتُ طُولَ الفراق ... إذْ تنسَّمتُ عَرف قُرب التَّلاقى
ورَجوتُ الإِله سُبحانهُ فى ... رَفْع تعذيبنا بنار الفراقِ

فى وصف شعر

يُذكِّرنى هذا القريضُ ونُورُه ... محاسِنَ من أَهوى تَلُوح ثُغُورُه
فعِزَّته قد أُشربتها طِبَاعُــه ... ورقَّتُه قد ضُمِّنتها خُصُورُه
وإشراقُه فى النَّفس نُورُ جبينِه ... إذا لاح والتَفَّت عليه شُعُورُه
وأَوصافُه مِن بعدُ تقضى بأَنَّه ... أَميرُ كلام النَّاس بل هُو نُورُه

---

(١) المنقع الريان .
(٢) الفصيح البليغ .
(٣) من لا وفاء له ولا يدوم على عهد .
(٤) هو السيد الصالح بن المعطى الشرقى .

مُكاتبة

كَتَبْتُ إلى عِيسَى الشَّريف مُسلِّماً   علَيهِ على ذى غرَّة تُخجِلُ القَمَر
وحمَّلتُ رَكباً قد نَوَوْه تحيةً   يضُوعُ بها أُفقُ الجزائر فى السَّحَر
مضَمَّنُها حمدٌ ومُوجبُها هوًى   وأَنفاسُها مِسكٌ وأَلفَاظُها دُرر

فى ذَرا تطوان

يا ذوى وُدِّىَ يا أهلَ العُلا   فى ذَرا تِطْوان
أَسمِعُونى كلَّ معشُوق الحُلى   طيِّب الأَلْحَان
بمَديح المُصطَفى خير الورى   سيِّد الأَكوان
أَسمِعُونى من نقاواتِ[1] المديح   رَائِقَ الأَشعار
بلُحُون تُلبِسُ القلبَ القريح   حُلَلَ الأَنوار
فيطيرُ القلبُ منها فى مَلا   تُخلِقُ الأَحزان
يَعتلى من زهوِهِ أَىَّ اعتِلا   فى سَما السُّلْوان
يجتلى من سِرِّهِ أَىَّ اجتلا   غاية الإحسان
يجتلى من سِرِّه فى جَهره   مورث البُقْيا
ويَرى من طيِّه فى نشره   مالِئَ الدنيا
فهو لا يجْنَح إلاَّ للعُــلا   شأْنُ أَهل الشَّان
قائِلاً مهما عَراهُ ما عرا   من حِلى النَّشْوان
صلِّ يا ربَّ الوَرَى دأْباً على   سيد الأَكوان

* * *

(١) نقاوة الشيء خلاصته وخياره .

تمَّ المنتخبُ — بحمد الله — وقد أغضينا كثيرا وتساهلنا فوق ما يظن حتى جاء بهذا الحجم .

ولم يبق فى الديوان إلا الغثّ المتهافت والتافه الذى لا غناء فيه من هذه الأنظام المتكلفة والتوسُّلات التى لا مِساس لها بالشاعرية فضلاً عن أنها بدعة فى الدين !

وقد يلاحظ القارئ أننا لم نعنون القصائد والأبيات التى قالها ابن زاكور فى أشخاص معيَّنين ، حيث إن لها مناسبات ينبغى أن تذكر ولا يغنى عنها العنوان . وإننا لم نتتبَّع ألفاظ الأشعار كلها بالشرح ، والواقعُ أننا اكتفينا بالشكل عن كثير من الشرح لأنه — ولا ريب يُعين على الفهم — ولم نشرح إلاَّ الغريب النادر الذى توقفنا فيه أو قدَّرنا أن القارئ يتوقفُ فيه .

ونشكر لدار المعارف عنايتها بإخراجه فى هذه الحلة الجميلة من التصحيح الكامل والطبع الأنيق ؛ وتلك سنةٌ أعرفُها من أَخْزَم ويعرفها الناس .

انتهى

فهرس على الموضوعات

الصفحة

فهرس أبجدى للقصائد والأبيات

(حرف الجيم) الصفحة

(حرف الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الذال)

الصفحة

(حرف الراء)

(حرف الزاى)

الصفحة

الصفحة

(حرف العين)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

الصفحة

(حرف اللام)

(حرف الميم)

حرف النون

الصفحة

تم طبع هذا الكتاب
على مطابع دار المعارف بمصر

